المولى إسماعيل 1672-1727

ابراهيم بوطالب

إن المولى الرشيد هو الذي وضع أسس الدولة العلوية ، لكن المولى إسماعيل هو الذي أقام الحصن برمته ، وأن أخويه الكبيرين هما اللذان زرعا البذور الأولى ، لكن المولى إسماعيل هو الذي بنى وأثبت البناء وذلك لأنه كان يتحلى بما كان يتحلى به سلفاه الأمجدان من الخصال السياسية والعسكرية ، إلا أنه كتب له أن يوظفها لفائدة الدولة الفتية أطول مدة . وكان قد تعلق في بداية أمره بأخيه المولى الرشيد الذي عينه خليفة عنه بفاس عندما قصد إقليم سوس لتمهيده سنة 1670 ، وقام المولى إسماعيل بهذه المهمة أحسن قيام حيث أبان عن إخلاص تام لخدمة الدولة وعن صرامة متناهية في الحفاظ على الأمن ، ولذلك أنابه المولى الرشيد مرة أخرى عنه على أقاليم الشمال مع الاقامة بمكناس ، يوم توجه إلى مراكش سنة 1671 لقمع ثورة ابن أخيه المولى أحمد بن محرز ، فكان من الطبيعي أن لايلتفت أهل الحل والعقد لغيره عندما ثبت لديهم وفاة المولى الرشيد الفجائية ، وبايعه الجميع بدون استثناء ، ولما كتب الله للمولى اسماعيل عمرا مديدا فإن أعمال أخويه البطولية تحولت على يديه

المولى اسماعيل سنة 1714 بقلم الاب بوسنو الكاهن

تناهز سنه الثمانين سنة وهو على كرسي الحكم منذ سنة 1672 ، قامته متوسطة ووجهه على الطول نحيف ، مفروق اللحية أبيضها ، يكاد لونه يكون أسود مع شامة بيضاء قرب الانف ، عيناه تبرقان النار وصوته جهوري ولا يبدو أن السنين نالت شيئا من شجاعته ولا من قوته ولا حتى من رشاقته فحيث ما استطاع أن يشد بيده ، فإنه يثب دفعة واحدة ، ومن معتاد ما يتسلى به أن يقفز على متن فرسه ويستل سيفه في ذات الوقت ليقطع رأس العبد الذي يقبض به الركاب .

وإنه ليتغير لونه بحسب ما يسيطر عليه من الاهواء ، فالسرور يجعله أبيض مما هو عليه في المعتاد ، لكن الغضب الذي كثيرا ما يذهب به كل مذهب يجعله أسود فتحمر عيناه من ضغط الدم ، ويحمل في خروجه منديلا يغطي ما تحت العينين من وجهه ، وعادة ما يبدل اللباس ثلاث مرات في النهار ولباسه مركب من قميص طويل الكمين يشمر عنهما إلى الكتفين ليبقى عاري الساعدين ، فوقه « فسطة » أو قفطان وفوق ذلك كله برنس وهو معطف نوعا ما له أهداب وقب تتدلى منه شوشة ، ويعلم بما هو عليه من الاهواء بتغير لونه أو تغير لون ما يرتدي من اللباس ، فالاخضر هو اللون المحبب والابيض دليل خير لمن يقترب منه ، أما إذا كان لابسا الاصفر فالجميع يرتعش ويتجنب المثول بين يديه لان الاصفر هو ما يرتدي من الالوان يوم إراقة الدماء .

ترجمة تلقائية عن النص الفرنسي ومن رحلة الاب بوسنو إلى مكناس لافتداء أسرى النصارى .



إلى مكتسبات راسخة ومنه تنسلت سلسلة الملوك العلويين ومن حق المؤرخين أن يضيفوا اسمه نعتا للدولة التي هي علوية بالأصل الشريف اسماعيلية بالنسب السياسي .

شخصية المولى اسماعيل

إن كان لويس الرابع عشر هو أشهر شخصيات الأمم المسيحية في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، فإن المولى اسماعيل كان هو أشهر رجالات دار الاسلام بحوض البحر الأبيض المتوسط في نفس الحقبة ، ذلك أن سلاطين الدولة العثمانية كانوا قد تقلص ظلهم وكان باشواتهم على الأيالات العربية التابعة لهم قباض جبايات أكثر مما كانوا رجال حكم ودراية ، وكان المولى اسماعيل يعلو الجميع بكثير بما كان يتجسد في شخصه من خصال الأمير المسلم وبما كان عليه من رفعة الهمة ، أحسن أو أخطأ . ولقد تجاوزت شهرته حدود المغرب وأشغلت بال بعض الرسامين بفرنسا الذي وضع له صورة زيتية من محض المخيلة ، لكن ملامحه تبدو أقرب من الواقع من خلال أوصاف شهود العيان الذين اقتربوا منه في مختلف أطوار حياته .

لقد وصفه « مويط » الفرنسي الذي بقي أسيرا لديه إلى حدود سنة 1682 قائلا :

« يبلغ المولى اسماعين (كذا) ملك فاس ومراكش وتافيلالت سبعا وثلاثين سنة وهو إلى الطول شيئا ما ، رشيق القد بالرغم مما يبدو عليه من البدانة بسبب ملابسه ، لونه أسمر مفتوح ووجهه على الطول مليح القطاطيع ، وله لحية طويلة مفروقة » .

ووصفه « ذي سانتمان » سفير لويس الرابع عشر لديه سنة 1682 قائلا : « إن ملك المغرب متواضع القامة لكنه رشيقها ، وجهه مستطيل وهو إلى السمرة أميل منه إلى البياض بمعنى انه خلاسي ، لحيته سوداء وافرة بحسب ما يستحسن من ذلك لدى المغاربة ، وهو صغير العينين ، اقنى الأنف ، حاد الدقن ، شديد الحيوية ، والكل يسلم بأنه أقوى وأعزم رجل في ايالته ، وكان ذلك اليوم ، يرتدي بدلة غامقة اللون مزينة من قدام باعقاد مذهبة ، على شكل البراندبور ، وعلى رأسه عمامة من قماش أحمر منسوج بخيوط الذهب وكان يلبس فوق ذلك كله الحائك الذي سبقت الاشارة إليه » .

ووصفه عشر سنوات بعد ذلك في شهر شتنبر سنة 1693 السفير الفرنسي « ذي سانتولون » بقوله :

« إنه بين الثامنة والأربعين والخمسين من العمر ، أسمر البشرة أسود الشعر بدا عليه الشيب ، وهو متوسط القامة مستطيل المحيا ، غائر الوجنتين غائر العينين كذلك ، أسودهما تبرق منهما النار ، وانفه صغير أقنى وذقنه حاد وهو غليظ الشفتين جميل صورة الفم » .

وكان الانجليزي « جون ويندس » كاتب السفارة البريطانية إلى مكناس سنة 1721 هو آخر من وصفه من الأوروبيين حيث قال : « يناهز الامبراطور السابعة والثمانين من العمر ، لكنه مازال خفيف الحركة بالرغم من تقدم السن به ، قامته متوسطة ومازالت ملامحه تحمل بقايا الحسن والدقة ، ولا أثر فيها من أوصاف الزنوج وإن كانت والدته سوداء ، له أنف أقنى ملحوظة بين حاجبيه بالطف صورة ، ولقد سقطت جميع أسنانه وقصر تنفسه كأن رئتيه في حال غير جيدة فهو يسعل ويبصق بكثرة، لكن بصاقه لايصل أبدا إلى الأرض يتلقفه باستمرار في المناديل رجال معدون لذلك ، لحيته دقيقة شديدة البياض ويبدو أن عينيه كانتا متعودتين على ابراق النار ، لكن شدة برقهما أصابهما الفتور من ثقل السنين وغار وجنتاه بشكل مدهش ... أما لباسه فلم يكن بمخالف على العموم لما يلبسه باشواته في غير حضوره ، قوامه حائك دقيق الصنع ورأسه معمم بعمامة مركبة من عدة أدوار من الموصلي تغطى الجزء الأكبر من جبينه » .

تلك هي الصور المتلاحقة من أوصاف المولى اسماعيل في أطوار متباينة من عهده الطويل ، يستشف منها المؤرخ هيئة رجل متوسط القامة بارق النظر ، غير جسيم ، شديد الوثبة ، ممتلىء لشفاه عربي اللون ، إنه كان ابنا من أبناء الصحراء المغربية الأقحاح ، مثله في ذلك مثل كبار أمراء المغرب ممن سبقه على العرش ، وأن والدته كانت من بنات الوداية قبيلة الساقية الحمراء انذاك ، كان أبو حسون السملالي اهداها للمولى الشريف يوم كان مقيما لديه بالغلبة ، ولقد نقل المؤرخون أنه ازداد سنة 1646 وهي سنة معركة « الكاعة » التي دارت بين الديلائيين وأتباع المولى محمد ، مما يستفاد منه أن سنه لم تكن تتجاوز السادسة والعشرين يوم انعقدت له البيعة .

آراؤه السياسية

لولا الحادثة المفاجئة التي أودت بحياة المولى الرشيد لما كان المولى اسماعيل ليكون أكثر من خليفة للسلطان . وتذكر بعض الروايات أنه تردد في انتهاز الفرصة أول الأمر ، لكنه ما ان تربع على العرش حتى أصبح من المستحيل على أي كان أن يعزله عنه ، ذلك أنه لم يكن قوي البنية الجسدية وحسب بل كان شديد الايمان ، مقتنعا بأن إرادة الله عز وجل هي التي طوقت عنقه بمسؤولية خلافة أخيه الراحل وهي التي قدمته لامامته الملة المحمدية بالغرب الاسلامي ، وكان الله عز وجل هو القادر وحده على نزع تلك الأمانة من يديه ، وكان هذا هو شعار دولته مما يوحي بسامي نظرته إلى واجباته ، وكأن شيئا من ذلك تسرب إلى عموم الرعية ، لأنه لم يسبق لملك من ملوك المغرب ان كانت كلمته مطاعة بالدرجة التي كانت كلمة هذا السلطان مطاعة ، ولم يسبق للدولة المغربية في أشكالها التقليدية ان كانت

صورة مولاي اسماعيل الرسمية (1672 – 1727) ، الوثائق الملكية .



LE GRAND CHERIF MOULEY SEMEIN ou ISMAEL Roy de Maroc, Fez Tafilet et Autres Prouinces Ports et Villes Maritimes dans la Mauritanie en Affrique, Frere et Successeur de Moulé Arxid ce Prince est Vaillant et hardy Mais fort Cruel et Inhumain ce faisant Son Plaisir de respandre le Sang Coupable ou Innocent, il regne plus par Sa Cruauté que par Sa douceur, &c, il a Enuoyé en France en 1682, Vn Ambassadeur nommé hadgi Mehemed Timmin, pour faire Amitié Auec le tres Puissant Monarque Louis le Grand, et pour l'Establissem.t du Commerce Entr Eux, &c.,

A Paris Chez la Veuue Bertrand Rue S.t Iacq.s à la Pôme d'Or, pres S.t Seuerin. Auec Priuil du Roy.

مفهوم الدولة لدى المولى اسماعيل من خلال بعض رسائله إلى ولده المامون خليفته على تافيلالت

بعد السلام ،

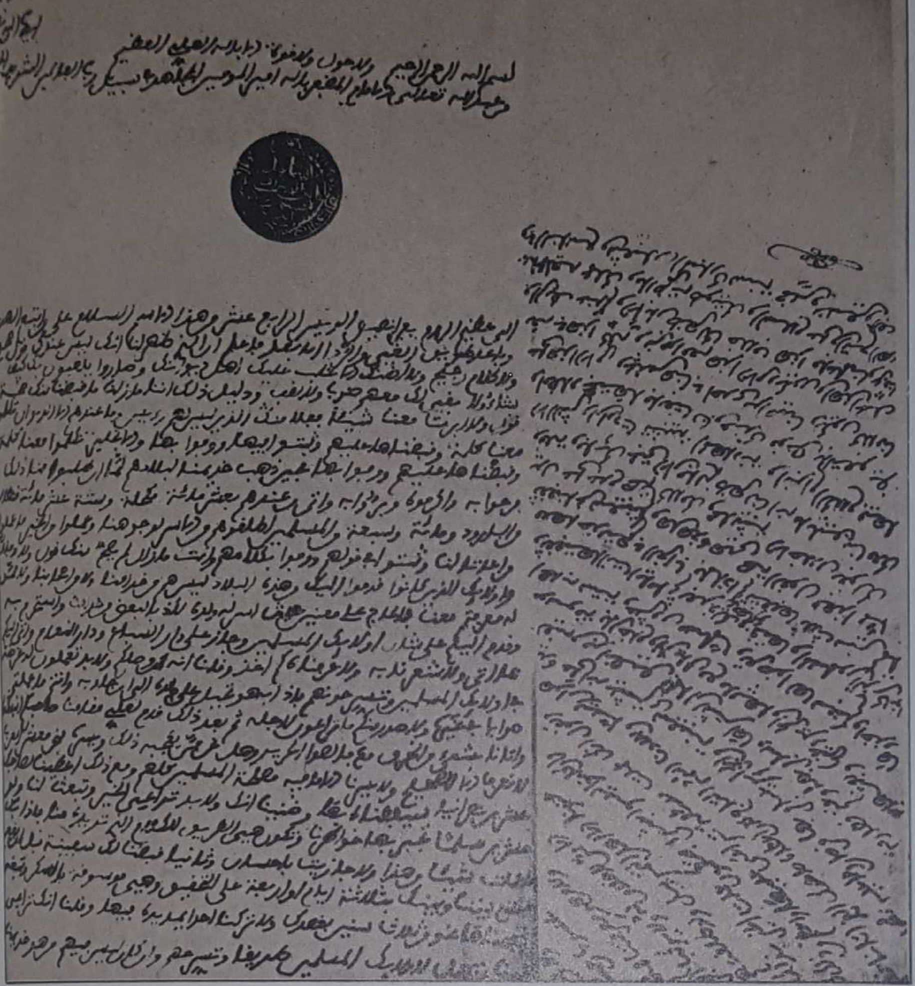
فاعلم أننا كنا نتوسم فيك مسائل كبيرة وأمورا كثيرة وكنا نظن في جنابك من النجدة والفائدة والنتيجة والضبط وعلو الهمة وكبر النفس والصبر والنجابة والامتثال لما نأمر به والتحافظ على ما نوصي عليه ما ليس في إخوتك ، ومن أجل ذلك كبرناك على من كبرناك عليه منهم واخترناك للولاية دونهم ، ورأينا تلك البلاد تافيلالت كما قلنا لك غير ما مرة بلادا متسعة كبيرة ، وبها أعمال وبها منافع كثيرة وهي قاعدة من قواعد هذه الاقطار المغربية ، وقد كانت في القديم دار الامارة ومنها كانت تتوجه الاوامر والنواهي وتنبعث البعوث ويخرج أصحاب الولايات إلى أكثر كور المغرب وقد جمعت بين طيب الهواء وكثرة الخيرات ، وتوسطت بجميع تلك الفوائج والجهات ، فهي محط رحال الرفاق من كل الافاق ، ولابد لتجار السودان وغيرهم من البلدان منها وأهل تلك الجهة كلهم موقوفون عليها ولا محيص لاحد عنها ، فولايتها وحدها يجعل منها الرجل الحازم الجيش والعيش ، لاسيما إذا كان صاحبها يتصرف في توات وتكررين وفي درعة ، ويمد يده في تلك الفوائد وفي غيرها ، ومع ما فيها من كثرة المنافع والمرافىء والمصالح فهي مقر أسلافنا رحمهم الله ومستوطنهم ، وقد أسكنا بها من إخوتك من علمته ، وبها من أقاربنا وجماعتنا من تعرف واشترينا بها من الاصول ما لايخفى عليك .

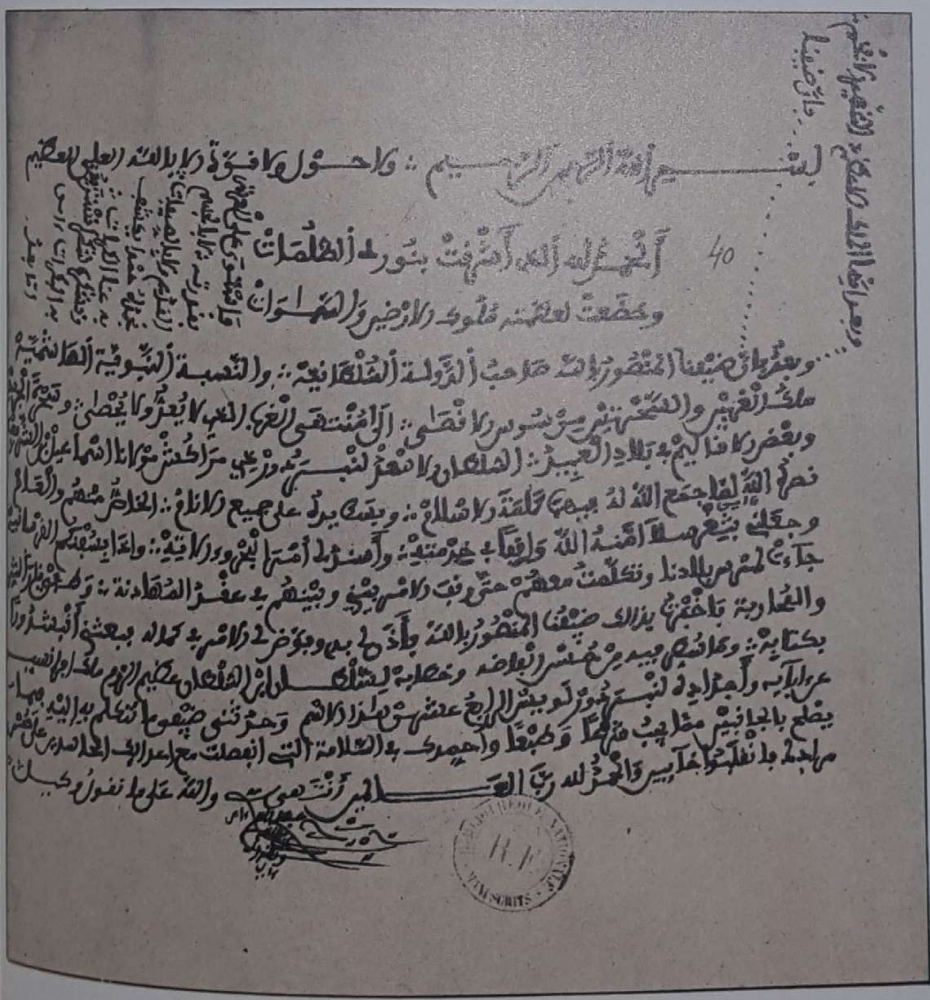
... وقد اختبرناك المرة بعد المرة وكاتبناك وخاطبناك ورددناك ووبخناك وأنذرناك وحذرناك ونبهناك وكلمناك وأرشدناك مشافهة منا إليك ، وفي كل مرة ومع كل رسول وفي كل كتاب وعلى كل خصومة ، نقول أنك تقلع عما أنت عليه وتترك ما لايعنيك وراء ظهرك وتشمر أذيال رخوتك وتقف على قدم اعتنائك وتحتزم لما أنت في صدده وتشتغل بالحزم فما رأينا شيئا من ذلك ، فكل مسألة إذا بحثنا عنك فيها نجدك بعيد المعنى منها والله قط ما كانت مسائلك تشفي لنا الغليل في الاحكام ولا في التصرف ولا في ضبط ولا في سداد ولا في رأي ولا في جمع ولا في منع .

وهذه مسائل الدين وأمور المسلمين قلدها الله لنا فضلا منه وامتنانا ، والله والله حتى أعض بنواجدي ولا وليت أحدا منها شيئا إلا الذي يعيننا على حق من حقوق الله ويقوم لنا بوظيف كبير نثق به فيه ، وأما أنت وأشباهك الذين يركنون إلى الراحات ويغتنمون ظل الحجرات ويوثرون البطالات ويختارون على حق الله محادثة النساء والاستمتاع بكثرة الترويج ويفضلون على تمهيد الاقاليم وتدويخ البلدان ودخول المفاوز والماكل والمشارب ، فمثل هوءلاء لا يلائموننا ولا نلائمهم ، وبل يلائمنا من هو بين الشراسة والسهولة ، وبين الشجاعة والسياسة ، وبين الفتك والحلم ، وبين البسط والربط ويكون مع هذا كله خيرا دينا تقيا لا تأخذه في الله لومة لائم ، يستعمل كل خصلة في موضعها وتكون له نفس أبية يتحامى بها سفاسف الامور ويكون نبيها يقظانا بحاثا تتقي سطوته وتعرف أمانته ... فإذا ظفرت يدي بمن نعرف فيه ما ذكرت لك فإنني أشد عليه خناصري ، ونحب مشاركته في هذا الاجر الذي هو مرادنا ومقصودنا من الله سبحانه ، سواء كان من أولادنا أو من غيرهم اذ الناس كلهم عندنا في حق الله سبحانه سواء لايتفاضلون إلا بالعافية ولا يقتربون إلينا إلا بالخصال الحميدة وأمور المسلمين لا خصوصية فيها لاولادنا ولا لغيرهم ، وأنت إذا بقيت على تلك الحالة التي نراك عليها فما أظنك تنجم شيئا بتلك الفائحة ...

رسائل المولى اسماعيل إلى ولده المامون نشرها الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور الرباط . المطبعة الملكية 1961 .

صورة مولاي اسماعيل ، حسب وصف مويت (القرن السابع عشر) .
الخزانة الوطنية بباريس .





بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله الذي أشرقت بنور الكلمات

وخضعت لعظمته ملوك الأرضين والسماوات

أزمتها في قبضة مثل قبضته المولى اسماعيل في الحدة والثبات .

ولقد قال عنه الأب « بوسنو » الكاهن النصراني :

« إنه لا يستشير إلا مع نفسه وإن كان محفوفا على سبيل العادة ببعض القواد ويرافقه باستمرار « طالبه » لمهمات الأمور ، لكنه لاينطق بما يختلج في صدره إلا بصفة الأحكام المقررة وعندئذ ينحصر رأي تلك الحاشية في كلمتين « نعم سيدي » ! »

والواقع أن ملوك القرن السابع عشر سواء في أوروبا أو في افريقيا كانوا لايرون الحكم إلا مطلقا وإلا فلا ، ولقد كاتب المولى اسماعيل الملك لويس الرابع عشر سنة 1682 ، منوها بما كان يتمتع به من اطلاق النفوذ في مملكته لايشاركه في القرار لا برلمان ولا ما شابه ذلك ممن يرد على الملك الكلام ويناقشه في شؤون السلطان ، وقال له فيما قال : « وأنت بذلك مثلك كمثل ملوك المغرب » . ونقل السفير « دى سانتامان » عن المولى اسماعيل أنه قال له :

« في علمي أن امبراطور فرنسا أعظم وأقوى امبراطور في أوروبا وأنه منفرد بحكم مملكته وأنه يقود جنوده بنفسه لمحاربة أعدائه وانه يكون هو السباق إلى ساحة القتال ، وفي علمي أن ملك انجلترا على غير هذه السيرة وانه يترك البرلمان يقوده كأنه امرأة عجوز ، وان امرأة هي التي تتولى حكم اسبانيا » .

وما هذه الآراء إلا انعكاس مباشر للبيئة الاجتماعية المغربية في القرن السابع عشر ، حيث كان المجتمع المغربي مازال قريبا من الأوضاع الطبيعية وكانت القبيلة هي الخلية الأساسية فكان أساس الثروة هو الماشية وكانت التشكيلة الاجتماعية في حركة دائبة وكانت القبائل مسلحة أو بوسعها أن تحمل السلاح ، فكانت السلطة

صورة رسالة من مولاي اسماعيل إلى لويس الرابع عشر (1684) .
الخزانة العامة بالرباط .

صورة رسالة من السفير ابن عائشة إلى لويس الرابع عشر .
الخزانة الوطنية بباريس .

مولاي اسماعيل

حتما على رؤوس الرماح . لكن المولى اسماعيل كان يعلم أن العنف المجرد وإن كان ضروريا فإنه لايكفي ، فكان يسهر على أن لا يحرك ساكنا إلا بمقتضى القواعد الشرعية ، اعتبارا من أن الشريعة هي غاية الدولة في الاسلام ووسيلتها وأن واجب السلطان هو صيانتها وحماية النطاق الترابي لنفوذها . وما الشريعة إلا جهاد مستمر يقتضي اماطة أسباب الظلم والضلال في الداخل بضبط الأمن واقرار الطمانينة ، وهي في الخارج جهاد لحماية شواطىء البلاد ولطرد النصارى من الموانىء التي كانت قد سقطت بأيديهم .

ولقد كان من علامات عبقرية المولى اسماعيل انه تحمل هذه الأعباء المزدوجة المتكاملة باقدام وثبات ، وانه أعاد للدولة المغربية صلابتها فتوحدت أطراف المملكة ، وترتب عن اخماد نيران الفتنة لتوحيد الصفوف المقاومة لاحباط المرامي التوسعية الأوروبية بالمغرب ، وما فتىء هذا السلطان يحارب ويقاتل ويركض الخيول ويجاهد العياء ، وكان ، إلى ذلك ، يثير اعجاب الأوروبيين بما كان عليه من الزهد والتقشف في العيش ، وهي خصال الجندي الذي لايكف عن القتال ، بل هي في الأصل خصال النبي عليه الصلاة والسلام وخصال خلفائه الراشدين وصحابته الأتقياء الذين كان المولى اسماعيل شديد الحرص على اقتفاء اثارهم المثلى .

مولاي اسماعيل الفارس الذي لا يكل . وقد بذل ما في وسعه من أجل الجهاد وتوحيد البلاد .



تصوير جان ماري لوي عن صورة ترجع إلى القرن السابع عشر .

مذكرات من التراث المغربي

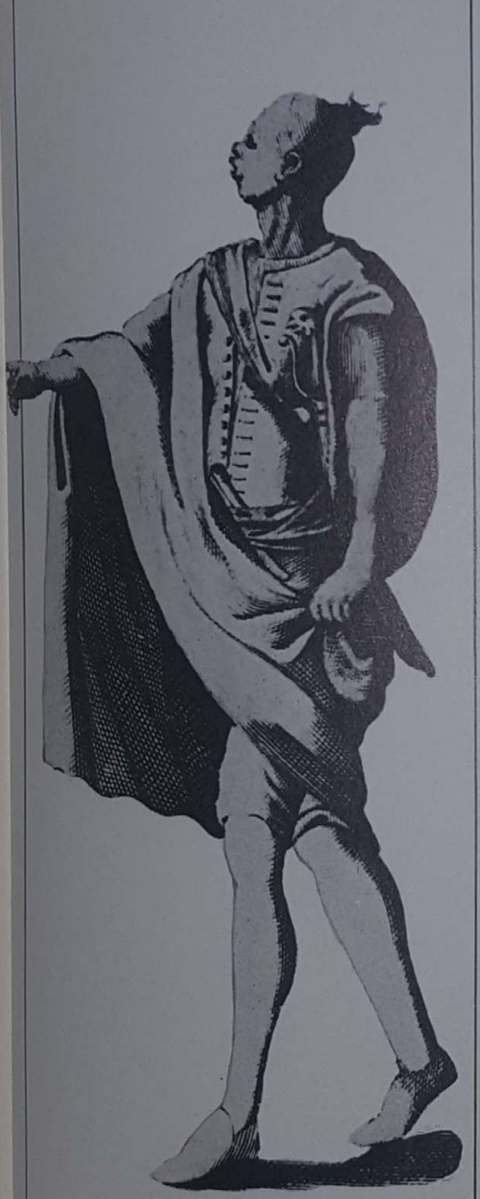
وسائل الحكومة الاسماعلية

الجيش

إن أوضح ما يشهد بأراء المولى اسماعيل في السياسة عنايته بإقامة جيش نظامي من العبيد ، وكان هذا الجيش من أشهر منجزاته . وكانت الدولة المغربية إلى ذلك الحين لاجيش لها بالأساس إلا من استنفار القوات العسكرية القبلية ، وكان ابن خلدون قد بين فيما مضى أن الدولة ليست في أقاليمنا إلا بلورة للعصبية القبلية ، لكنه كان قد أضاف بأن هذه المجتمعات القبلية تحتاج إلى الاعتقاد قبل الخضوع ، ولذلك كانت الدولة الاسلامية من طبيعتها دولة ملتزمة وما الأمير وجنده إلا طلائع ذلك الالتزام ، يحملون الأعباء الدينية والدنيوية ويشكلون العمود الفقري للسلطة .

إلا أن العلويين لم يكونوا أول الأمر سوى أسرة ذائعة الصيت يتمتع الناس ببركة شرفها وكان لهم أنصار ومحبون ولم يكن لهم عصبية بالمعنى الخلدوني التي تحشد منها الحشود ، ولذلك لجأ المولى مَحمد والمولى الرشيد عند قيامهما إلى ما كان لهما من العبيد السود ، ولما آل الأمر إلى المولى اسماعيل ، وكان عليه أن يقيم البُنْيان العلوي بأكمله ، فإنه جعل مما كان حلا اضطراريا لدى أخويه نظاما عسكريا ثابتا ، حيث أقام جيشا من عبيد السلطان أو حول عبيد السلطان إلى جيش الدولة . وتحقق بذلك ثلاث غايات ، إذ كان هذا الجيش الجديد مبنيا على عصبية عرقية عسكرية دون أن يتعثر في خصومات القبائل المغربية الموروثة ، وكان هذا الجيش الجديد ملزما بأوثق طاعة للسلطان لأنه صنيع إرادته ، وكان إلى ذلك كله معبئا روحيا بما كان يؤدي أفراده من قسم الاخلاص للدين وللامام على صحيح البخاري . وكان ذلك القسم في واقع الأمر ثلاثي المعنى ، إذا كان يلزم المولى اسماعيل حيال جنوده وكان يلزم هؤلاء حيال السلطان سيدهم ، وكان يلزم جميعهم حيال الشريعة السمحة التي كانوا مقدمين لصيانتها .

ولما قرر المولى اسماعيل إقامة هذا الجيش النظامي ، فانه أمر بجمع كل العبيد وأبناء العبيد الذين وجدت اسماؤهم مدرجة بسجل خاص ، كان تاريخه يعود إلى أيام السلطان أحمد المنصور السعدي ، وعثر عليه بالصدفة بمراكش القائد عليلش ، أحد قواد المولى اسماعيل ، وجرت عملية البحث عن الأشخاص وتم جمعه بما لايخلو من مثل هذه العمليات من التعسفات الطائشة ، وترتب عن ذلك مناقشة قانونية وأخلاقية حادة بين السلطان والفقهاء ، أدت ، فيما أدت إليه ، إلى إلقاء القبض على الفقيه عبد السلام بن حمدون جسوس ومقتله صبرا في السجن . لكن أغراض المولى اسماعيل ما لبثت أن تحققت كاملة ، حيث توفر لديه في ظرف وجيز حشود من العبيد ذكورا وإناثا سهر على أن يزوج بعضهم من بعض فانجبوا له شباب متكاثرا طيعا نشأ على الولاء للدولة بما كان للسلطان من شديد الحرص على تربيتهم . فأما الفتيات فكن يلحقن بالقصور السلطانية ليتعلمن الأعمال المنزلية والخدمات الزوجية وكانت النجبهن تدربن على العزف والغناء . وأما الذكور ، فانهم كانوا يدربون أول الأمر على مختلف الحرف ، ثم عند بلوغ العاشرة من العمر كانوا يدربون على سياسة الدواب لينتقلوا بعدها إلى سياسة الخيول وركوبها



جندي من جيش العبيد ، حسب سانتولون 1695 . الخزانة العامة بالرباط .

عارية ، ثم عند السادسة عشر من العمر كانوا يشرعون في التمرين على السلاح فيتشكل منهم حول شخص السلطان وهم مازالوا دوي طور الرجولة حرس من الفتيان الصناديد الذين نقل بعض الرواة الأوروبيون أن المولى اسماعيل كان يختبر مواهبهم في الرماية بأن يجعل شاشية حمراء على رمح بعيد أمامهم فيصوبون الطلقات إليها وويل لمن كان يخطىء الرمية . وأخيرا بمجرد ما كانوا يبلغون الثامنة عشر من عمرهم ، كان السلطان يأذن بزواجهم ويأمر بتوجيههم إلى حيث حاجة الدولة بهم من ثكناتها .

هؤلاء هم « عبيد البخاري » أو « البواخر » كما شاع على لسان العامة ، ولقد بلغ عددهم في نهاية عهد المولى اسماعيل 150.000 جندي ، كان معظمهم قاطنا بجوار السلطان بمكناس أو بالمعسكر الجديد الذي أقيم خصيصا لهم « بمشرع الرمل » (بالقرب من مدينة سيدي يحيى الحالية) وكانت الغاية من إقامتهم هناك أن يقوموا بحراصة بسائط سايس والغرب التي هي مخازن البلاد من حيث الحبوب .



فارس من فرسان عبيد البخاري .
عن صورة قديمة .

على أن إقامة هذا الجيش النظامي من قبل المولى اسماعيل جاء بمثابة تعميم وتنظيم لعرف سابق في التاريخ ، أكثر مما كان إبداعا أو أمرا محدثا . فحتى ان فرضنا أنه لم يهدف إلى تقليد جيش الانكشارية الأتراك أو جيش مماليك الايالة المصرية ، فان عددا من ملوك المغرب قبله ، كان قد رام التخلص من الضغوط القبلية بإقامة فرق نظامية محترفة إما من نصارى الأندلس وإما من عبيد السودان وإما من الترك الاغزاز . لكن هذه الظاهرة أضحت في القرن السابع عشر حاجة ملحة بسبب ما دخل على الأسلحة من التحسنات الخطيرة الشأن التي ألزمت الدولة بأن لاتمكن منها إلا من لا يدين لغير سلطتها بولاء .

ومع ذلك لم يفرط المولى اسماعيل في وسائل الاستنفار القبلي التقليدي وانه على غرار أسلافه من سلاطين المغرب ، اعتمد هو كذلك على روح العصبية ، إذ يحكي أنه كان يتفسح يوما بناحية شيشاوة فإذا به يبصر براع يرعى ماشيته ، فسأله السلطان عن أصوله فأخبره أنه من قبيلة الوداية الصحراوية التي كانت هي قبيلة والدة السلطان ، فخاطبه السلطان قائلا : « أنتم أخوالي وسمعتم بخبري ولم تأتوني ، والآن أنت صاحبي وإذا رجعت بغنمك إلى خيمتك فاقدم علي إلى مراكش » . وكان ذلك هو سبب تجديد جيش الوداية الذي أقامه السلطان بأحواز فاس فجعله من ركائز الدولة الأساسية .

المالية وبيت مال المسلمين

احتاج المولى اسماعيل لأموال ضخمة لاقامة جيشه النظامي ، وما كان عليه في هذا الصدد إلا أن يقتدي بالأعراف الموروثة ، فإن



بيت المال بطنجة ، بني في عهد مولاي اسماعيل .
تصوير أودول .

مالية الدولة كانت تشكل مبدئيا الصندوق الجماعي لأفراد الأمة حيث كان من واجب كل مسلم أن يساهم في تعبئته ، وما كان المولى اسماعيل الا ليحرص على أن تؤدى له جميع الواجبات ، ولقد شوه شهود العيان الأوروبيون بهذا الحرص عن قصد أو غير قصد ، واعتبروه من قبل السلطان حبا جما في المال ، والواقع أن المولى اسماعيل كان متمسكا بروح السياسة الاسلامية وبمنطوقها ، ذلك أن واجبات الدولة كانت تلزمها في آن واحد بتوزيع فائض الثروات على المحتاج إليها وبقيادة المجاهدين بعد تجهيزهم إلى حماية البلاد ، وحيث أن الجهاد فرض كفاية ، فان المواطن المسلم له أن يختار بين الجهاد بشخصه أو الجهاد بماله ، وما ثبت أن المولى اسماعيل ألزم الرعية بالواجبين ، فإن الذين قاتلوا من أجل استرجاع المعمورة وطنجة والعرائش وسبتة كانوا معفيين من كل واجب آخر ، وكان على الدولة أن تزودهم مثلما تزود باقي الجند بالزاد والسلاح والعتاد .

وكانت الاشكالية المالية الأساسية ناجمة من طبيعة أسلوب الجباية وكان ذلك سبب الأضرار وسبب ما كان يترتب عليها من الثورات والفتن ، والواقع أن المخزن المغربي في تلك العصور كان مكلفا بقيادة الأمة أكثر مما كان مكلفا بإدارة شؤونها ، ولذلك كانت الجبايات تتم عن طريق الالتزام حيث كان القواد بالعمالات أو قواد يبعث بهم خصيصا للأقاليم يؤدون المبالغ المقدرة لبيت المال ، على أن يجبوا من الرعية ما يمكنهم جبايته زاد أو نقص ، وما كان لينقص ، وكان السلطان يعلم ذلك ، فكان من حين لآخر يغرم أولائك القواد بدون شفقة ، اعتبارا بأن جمع الأموال ليس حلالا إلا على الدولة ، وكان ذلك من أسباب ما قام من النزاع بين السلطان وحاضرة فاس من جراء ما مورس على التجار فيها والأغنياء من الضغط الجبائي الشديد على يد أسرة آل الروسي الذين توالى أفرادها على عمالتها طيلة العهد الاسماعلي وبعده .

الجبايات الأساسية

أول الجبايات تلك التي فرضها القرآن واجبا على كل مسلم ، ثم كانت الجزية بعدها

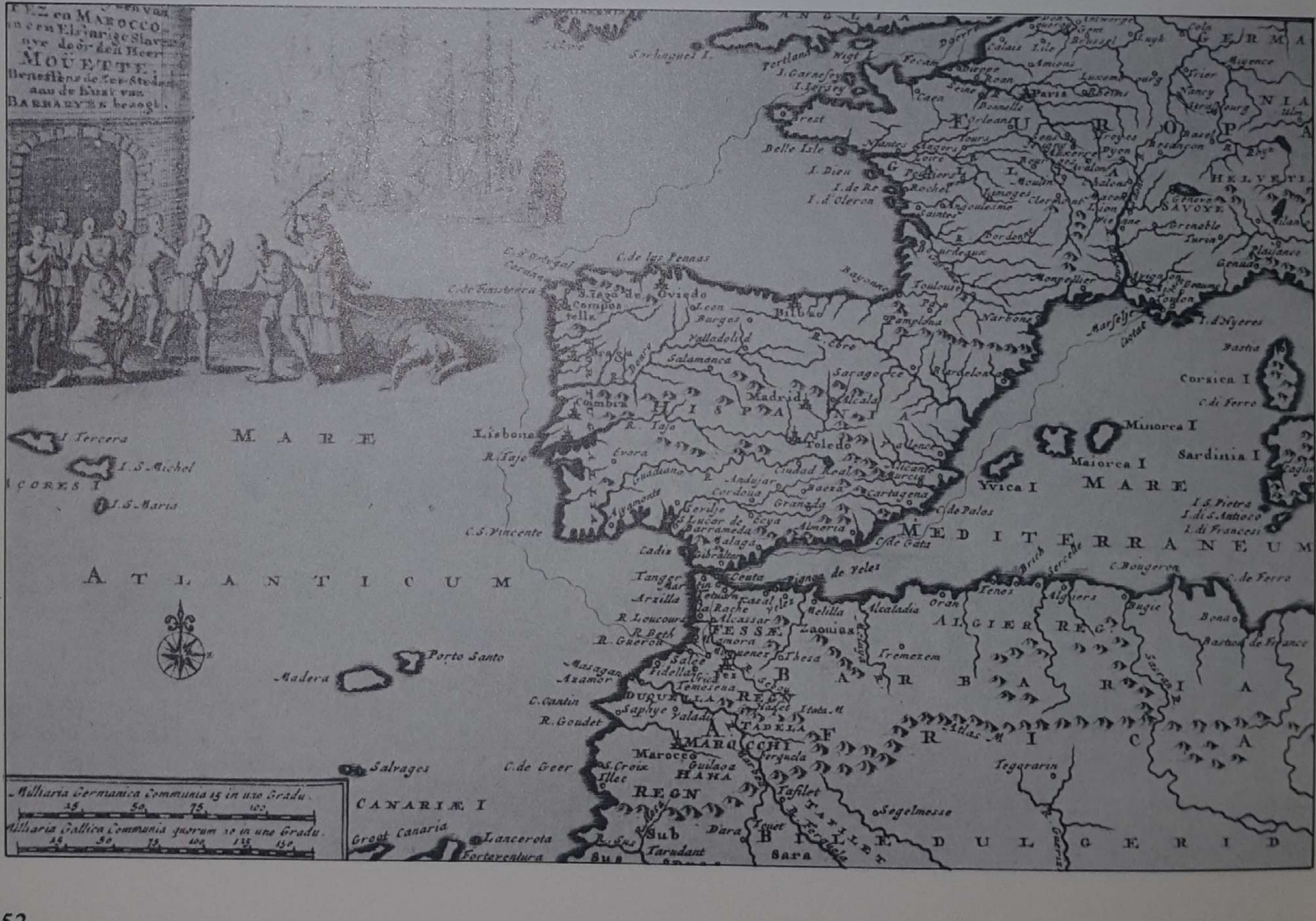
مولاي اسماعيل

وكان يؤديها اليهود المغاربة مقابل ما كانوا يحظون به من صيانة لأموالهم وأعراضهم وعقيدتهم ، وأيضا مقابل إعفائهم على الاطلاق من كل كلفة عسكرية ، لكن أغنياءهم كانوا يتمتعون بشبه احتكار للعمليات النقدية حيث كانوا صيارفة المخزن ورجال البنك لديه نوعا ما ، مما كان يدفع السلطان إلى إغرام كبرائهم من حين لآخر بما يتجمع في قبضتهم من فائض الأموال ، ولقد روى الانجليزي « جون ويندس » كيف انتزع المولى اسماعيل من ابراهيم ميمران وموسى بن عطار أموالا طائلة بإغراء الواحد بالآخر واللعب على تحاسدهما ودفعهما إلى الاقرار بثرواتهما عن طريق المزايدة .

لكن الدولة المغربية ما كنت لتكتفي بهذه المداخيل ، وذلك لتفاقم نفقاتها بسبب الحاجة إلى اقتناء الأسلحة النارية من أوروبا بحيث غدا اللازم جعل ما كان استثنائيا من الجبايات أمرا ثابتا مستمرا ، وحصل هذا في المكوس بوجه خاص ، وهي ضريبة متنوعة تفرض على رواج السلع بالأسواق وكانت شرعيتها محط نقاش لم ينقطع بين الدولة والعلماء عبر العصور حتى أن جباياتها كانت مقياس ميزان القوى السياسي بين السلطان والرعية وكانت الكفة مائلة لفائدة الدولة في عهد المولى اسماعيل .

كما تفاقمت الرسوم على التجارة الخارجية ابتداء من القرن السابع عشر ولقد وضعت عندئذ بعض القواعد للنظام الجمركي المغربي سارت عليها الدولة إلى أواخر القرن التاسع عشر ، حيث كانت البضائع تعشر في الصدور والورود ، نقدا أو عينا بحسب إرادة السلطان ووفرة السوق وميزان العرض والطلب وحالة العلاقات الديبلوماسية مع دول أوروبا ، وأن بعض الموارد مثل الشموع كان يؤدى عليها في عهد المولى اسماعيل 25 بالمائة من قيمتها بما كان يصدر منها من الكميات الهائلة ، وتعود المخزن على المشاركة المباشرة في الأعمال التجارية وذلك لأسباب سياسية ومالية ، إذ كان احتكار الدولة لبعض المواد أحسن وسيلة لملء بيت المال وأصبح من أخطر واجبات السلطان أن يتتبع أحوال التجارة الخارجية بعد أن أضحت تدور بالأساس مع تجار النصارى الذين لم تعد تخفى لا أطماعهم ولا ما يتوفرون عليه من الوسائل ، وهكذا كان المولى اسماعيل لايفرط في كبيرة ولا صغيرة وكان آخر ما

خريطة « فاس – المغرب » كما رسمها أ. فاندر (1670) . ويلاحظ في جانب الصورة صور أسرى فرنسيين تخيلهم الرسام « شهداء مكبّلين » . الخزانة العامة بالرباط .



في الأمر دائما بيده ، مما أثار نقمة التجار الأوروبيين وجعلهم يتكلمون في سياسته بكل رخيص ، لكنهم ظلوا مع ذلك يتهافتون على الموانىء المغربية ويحملون إليها ما كان يلزمهم به السلطان من الأسلحة والنفائس مع أداء جميع الرسوم الجمركية .

وكان من أهم المداخيل شأنا ، في الجهاد في البحر الذي جعله الشرع خمس الغنائم ، ولقد بادر المولى اسماعيل إلى احتكار ما كان يقع بيد المجاهدين لفائدة بيت المال ، وبخاصة أسرى النصارى لينفرد المخزن بخبراتهم إن كانت لهم خبرة أو لافتداء المسلمين في مقابلهم كلما وقعوا في أسر المراكب الأوروبية ، وكان الانسان مازال في حوض البحر الأبيض المتوسط وظل إلى نهاية القرن الثامن عشر ، بضاعة تجري بها المبادلات وكانت الملل كلها تجعل من فداء أتباعها واجبا مقدسا وكان للمولى اسماعيل عناية خاصة بهذا الأمر لما كان له من الأبعاد في السياسة .

خدام المخزن الاسماعيلي

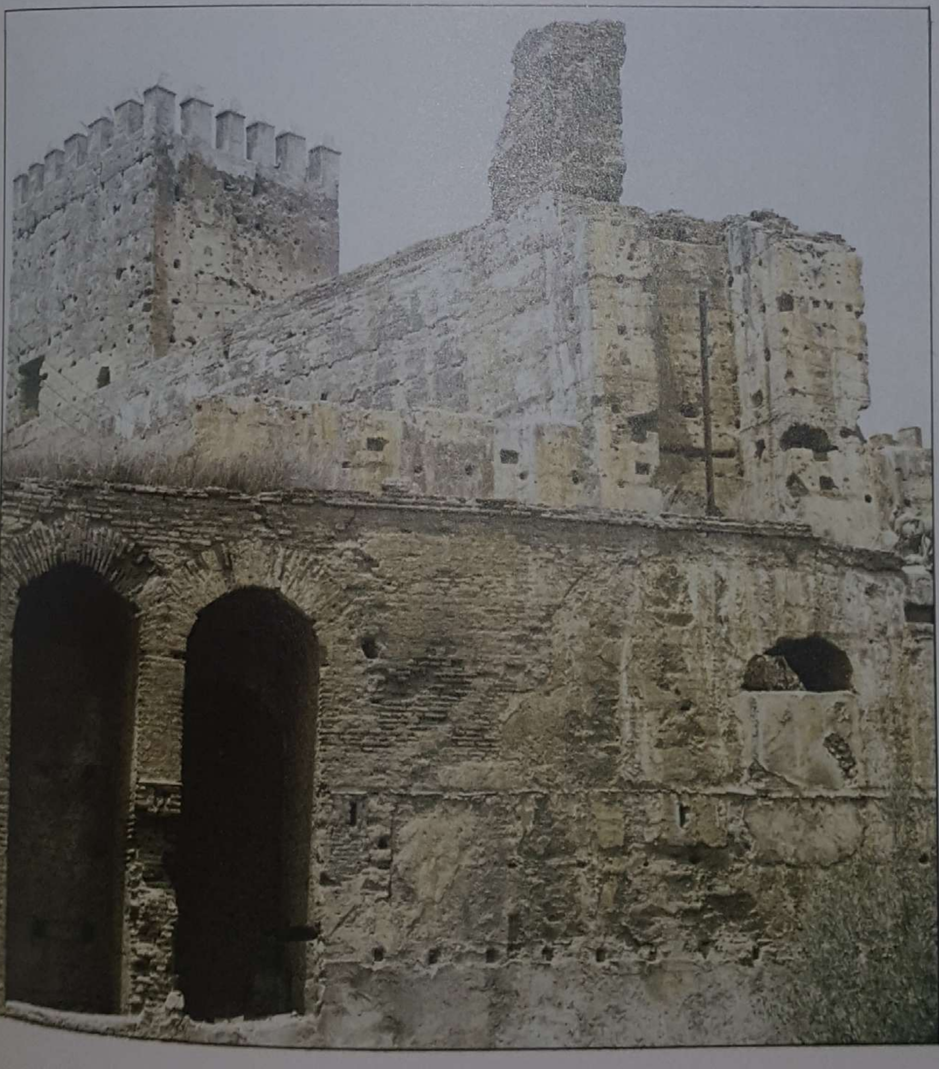
من طبيعة الحكم المستبد أن يجعل علاقات الرئيس بخدامه علاقات ولاء تربط شخص التابع بشخص المتبوع ، وكانت تلك الصلات في إطار الأعراف المغربية السائدة في القرن السابع عشر هي صلات المالك بملكه أو السيد بعبده . ولذلك كان كبار القواد والخدام ذوي الحظوة الذين يكلفهم السلطان بجليل المهام لاينتخبون الأمن عبيد البلاط المقربين ، ومنهم كان مرجان الكبير قائد عبيد الدار الذي كان مكلفا إلى جانب ذلك بمسك سجلات الجبايات ، وكان عامل الرباط سنة 1688 عبدا بخاريا آخر اسمه سعد الله بولعوان .

وكان الباشا علي بن عبد الله الحمامي الذي انفرد بحكم شمال المغرب سنين عديدة متصلا هو كذلك بالمولى اسماعيل بروابط شخصية ، وتعود أصوله إلى قبيلة تميمان بالريف ، وربما كان في أول أمره يشتغل بالنقل على البغال ، وتوثقت صلات الولاء بينه وبين السلطان حتى أصبح من أحظى الخدام لديه ، يدخل عليه ولا تصيبه دهشة ولا رعب ، ولم يواخذه المولى اسماعيل بفشله أمام سبتة بعد طول الحصار ، وخلفه ولده أحمد بن علي على حكومته الشمالية الشاسعة يوم وافته المنية سنة 1713 م .

ويذكر أيضا من الخدام المقربين الاخوان أحمد وعمر بن حدو وكانا هما كذلك من تمسمان وكان لهما الفضل في استرجاع المعمورة وطنجة والعرائش إلى حضيرة السيادة المغربية .

أما أسرة آل الروسي فإنها احتكرت سنين متواترة عمالة فاس وكان رئيس الأسرة الأول حمدون الروسي من أصل متواضع عينه المولى اسماعيل أول ما عينه عاملا على واحات توات ، وحظي ولده عبد الله بن حمدون بثقة السلطان فعينه عاملا على مدينة فاس سنة 1677 فناب عنه بها مدة حياته ولده عبد الخالق الذي خلفه عليها وانتقل الأمر بعده إلى ولديه أبو علي ومسعود .

وكان الباشا ابن الأشقر قائد زرهون مكلفا باعشار قبائل الغرب ، سفيان وبني حسن . وكان القائد علي بن يشو الذي قال عنه السفير الفرنسي



أطلال أحد قصور مولاي اسماعيل بمكناس .
تصوير أودول .

مولاي اسماعيل

« دى سانتولون » إن عمالته تضم كل الأقاليم « التي توجد بين مكناس وتلمسان وهي إلى شساعتها وافرة الريع » . وكان هذا القائد هو كذلك من أقرب خدام المولى اسماعيل إليه وكان لايتصرف في أعماله الممتدة إلا بمن ينيب عن نفسه من القواد ليتفرغ هو بمكناس إلى خدمة سيده .

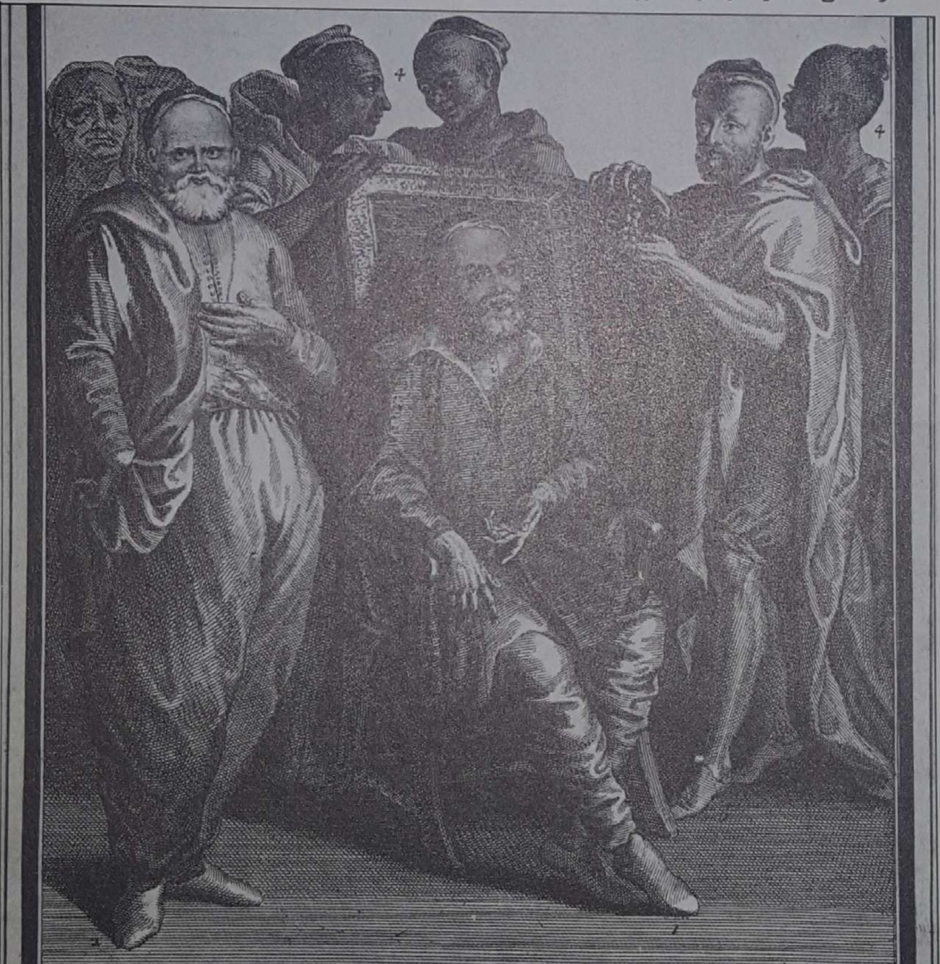
ولقد أثبت الانجليزي « جون ويندوس » لدى زيارته إلى مكناس سنة 1721 ان المخزن الاسماعيلي كان يضم هيئة من القواد يطلق عليهم عبارة « قواد رؤوسهم » وهم جماعة من القواد بدون قيادة ترابية يقفون بالمشور المخزني في انتظار ما يمكن أن يسند إليهم من المهام .

وكان أحمد بن حدو العطار وأصله من آسفي من أكبر حجاب المولى اسماعيل ولقد مارس كذلك مسؤولية عمالة السهول الأطلسية جنوب سلا ، وبعث به السلطان سفيرا إلى انجلترا سنة 1682 ، وعاد منها ناقما على دولة الانجليز بما ألزموه به من تعرية رأسه لدى مثوله بين يدي الملك شارلس الثاني انتقاما منهم مما كان سفيرهم قد أرغم عليه سنة 1680 من نزع أحذيته قبل المثول بين يدي المولى اسماعيل !

كما كان القائد عبد الله بن عائشة أمير البحر وقائد الأساطيل السلطانية ومن أشهر رجال السيف في عصره ، وشاع صيته بعد السفارة التي قام بها لدى الملك لويس الرابع عشر حيث استقبل في باريس وفرنسا واحتفل به الفرنسيون أيما احتفال .

أما وظائف القلم فإنها كانت على العموم من نصيب الأدباء والطلبة من أبناء الأسر الأندلسية ، باستثناء رئيس الكتاب وأول وزراء المولى اسماعيل الفقيه أحمد اليحمدي الذي كان من قبيلة غمارة . لكن محمد تميم السفير إلى فرنسا سنة 1682 كان أندلسي الأصل وكذلك كان الشأن بالنسبة لمحمد بن عبد الوهاب الغساني السفير إلى مدريد سنة 1690 ، وكان معظم الوظائف الدينية والكتابية بيد أبناء أسر أندلسية صارت منذ ذلك الحين تحتل مركز الصدارة في المجتمع السياسي المغربي مثل آل الفاسي وآل بن سودة وغريط وبادو وبلقاضي وبردلة .

وكان آخر فوج من مهاجرة الأندلس قد استوطن الرباط وتطوان منذ سنة 1609 وجعل من الجهاد البحري واجبا ومورد عيش فأعطى للمخزن من الخبراء والقواد من كانت صيغة أسمائهم الاسبانية مازالت تشهد بحداثة انتقالهم إلى المغرب ، مثل الحاج محمد مرينو وعبد القادر الروخو ، اللذين كانا عاملين على الرباط وسلا أو عبد الكريم هرمانو (أو اللمانو) الذي استعمل على فاس وعجز عن ردع ثورتها على السلطان سنة 1672 أو 1673 فأمر المولى اسماعيل بإعدامه . ويمكن ذكر محمد الوقاش العامل الذائع الصيت على تطوان في نهاية العهد الاسماعيلي والحاج عبد القادر اللوبريس المرافق للسفارة الانجليزية إلى مكناس سنة 1727 .



A Paris Chez I. Mariette rue S.t Jacques aux Colonnes d'Hercules avec Privil. du Roy

1. Abdala Ben-Aischa Amiral et Surintendant General de la Marine de l'Empire de Maroc, Ambassadeur de l'Empereur de Maroc en France en 1699.
2. Mahameth Touziris Capitaine de Vaisseaux Lieutenant de l'Ambassade.
3. Achmeth Soussin Docteur de la Loy Secretaire de l'Ambassade.
4. Esclaues Maures.

البعثة المغربية بباريس سنة 1698 . ويرى في وسط الصورة السفير عبد الله بن عائشة . الخزانة الوطنية بباريس .

ولا يمكن التغافل عن دور الجالية اليهودية ، فإن مواهبهم الصناعية والتجارية والصرفية كانت تبوئهم بالضرورة مناصب الوساطة في أمر العلاقات مع الدول النصرانية ، ولقد كان موسى بن عطار الوسيط الرئيسي بين السلطان والسفير الانجليزي « **شارلس ستيوارت** » الذي أمضى معه حلف سنة 1721 للصداقة والتجارة ، ذلك أن معرفة اليهود بإحدى اللغات الأوروبية وعادة ما كانت هي اللغة الاسبانية ، وعصبيتهم الملية كانت تمكنهم من قصب السبق في هذا المجال ، ولقد كتب القنصل الفرنسي « **جان باتيست اسطيل** » قائلا :

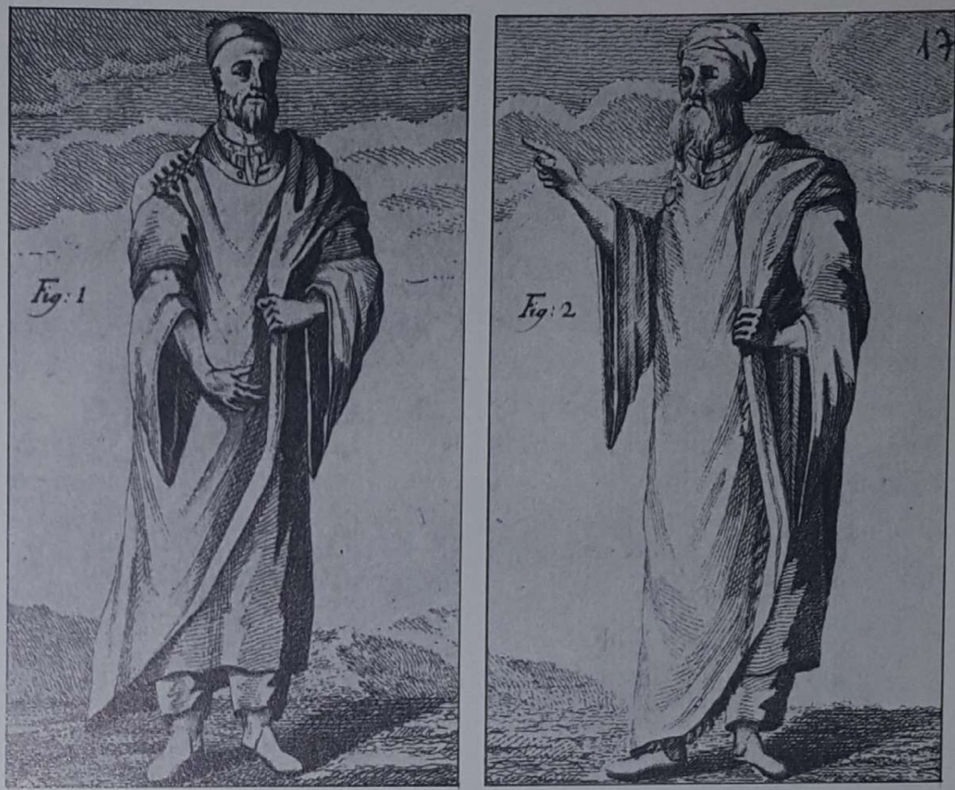
« **إنهم قائمون بجل تجارة هذه البلاد إما بمفردهم وإما عن طريق ما يقرضون من الأموال للمسلمين الذين يعملون باسمهم ، حرصا منهم على التظاهر بالعوز لئلا يبدو بيدهم أثر للثراء خوفا مما يلزمون به من الجبايات المستمرة ، ولذلك فإن أيام أعياد اليهود التي تعددت وأيام السبت تكون أيام عطلة بالنسبة للمسلمين والنصارى على السواء** » . كما قال « **بريثويت** » عضو السفارة الانجليزية لسنة 1727 :

« **إن حرفتهم الرئيسية هي صياغة الذهب والفضة وتقريض النقود وصرفها على غرار ما يفعلون في كل مكان** » .

المخزن قصر

لم ينس المولى اسماعيل بما جبل عليه من الدهاء السياسي وما تربى فيه من سير الملوك ، أن عظمة الدولة تبدو من عظمة ما تقيم من الآثار الفاخرة ، وكانت هذه الضرورة السياسية تلتحم لديه بشغف خاص بشؤون البناء حيث كان البناء من أقوى الهوايات على نفسه بل أقواها على

أطلال قصر قديم بمكناس .
تصوير أودول .



لباس إسرائليين مغاربة في القرن الثامن عشر .
تصوير بيتر هانس .
عن هوست 1779 . الخزانة العامة بالرباط .



القصور الاسماعيلية بمكناس حسب الانجليزي بريثويت (1727)

هذه القصور ان جاز لي أن انعتها بهذا النعت، تقع جنوب مكناس والمولى اسماعيل هو الذي شرع في بنائها وسهر على انجازها وهي تمتد على أكثر مما تمتد عليه المدينة برمتها من المساحة، ويمكن اعتبارها مدينة أكثر من كونها قصرا، إن كنا نعني بهذا اللفظ كتلة من البنايات يرتبط بعضها ببعض على العموم.

وتتركب هذه القصور من سلسلة من المنازل المتباينة يحتل بعضها نساء الامبراطور وإماؤه وخدامه وحرسه، ويقوم بحراسة كل حي من أحياء القصر ضباط مكلفون بذلك، وكأن الابنية لاصلة لبعضها بالبعض الاخر، ويقوم بحراسة دور النساء خصيان من الزنوج، وقد يكون من حقنا، اعتبارا بمفهوم القصر لدى هذا الامبراطور، أن نطلق هذا الاسم على برج لندن، ذلك انه يخزن فيه المدافع والسلاح والبارود ألخ ... والقصر باختصار هو مخزن جميع خيراته وترسانته والملجأ الذي يلجأ إليه مع أفراد أسرته، ومما يتميز به هذا المكان على الخصوص نظافته المتناهية وحسن صيانته بحيث أن المنتزهات التي بخارجه كلها على نسق واحد ومعظمها مرصف وبعضها مغطى، وأيضا أروقة التواصل مزلجة والسطوح مغطاة بالقرمود الاخضر وهذا اللون خاص بالمنازل الامبراطورية وبالمساجد، ويوجد بداخل القصر عدد كبير من البروج تحمل أعمدة مذهبة وقرمودا أخضر مما يشكل من مسافة معينة منظرا ظريفا ...

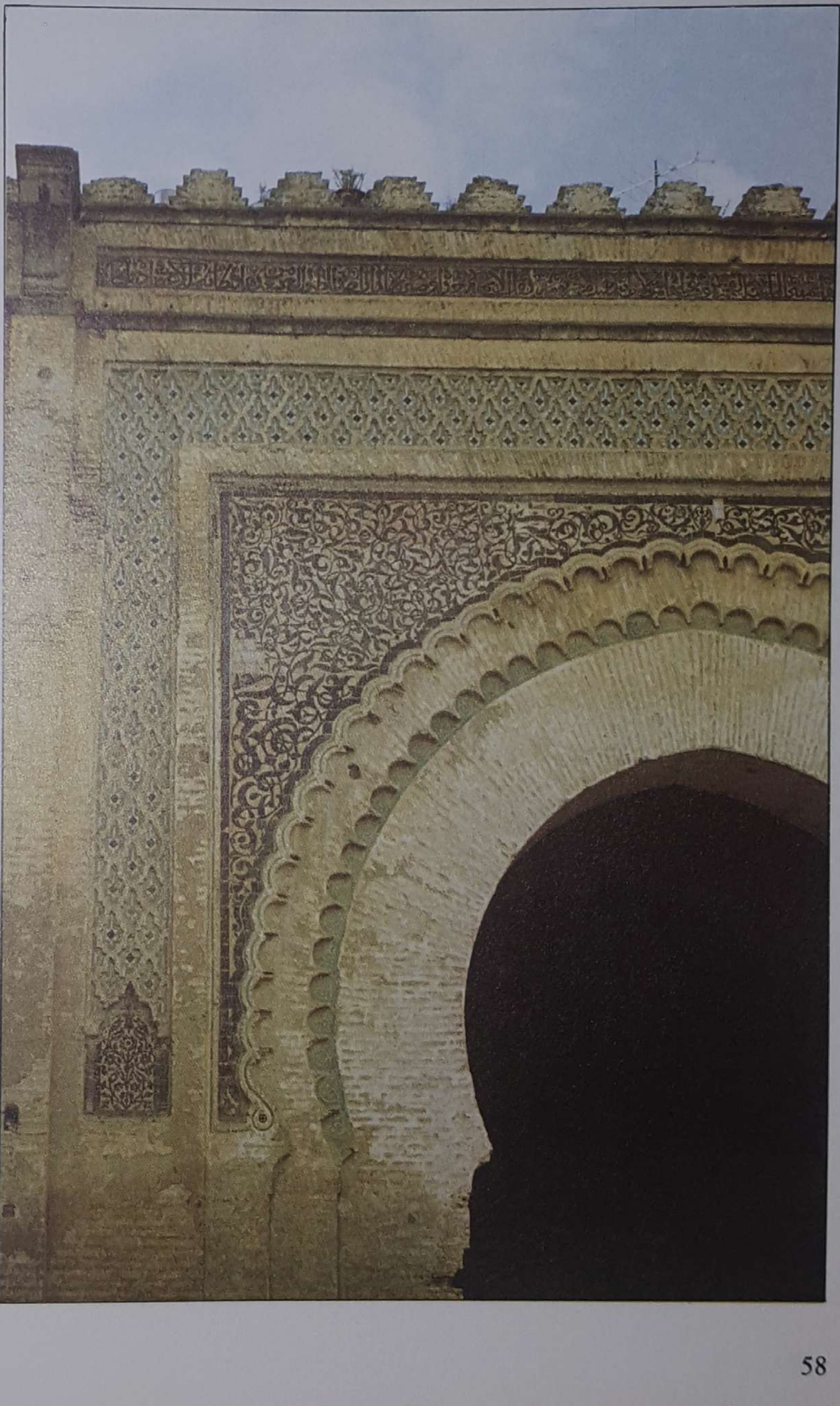
ترجمة تلقائية عن الترجمة الفرنسية لرحلة بريثويت إلى مكناس سنة 1727



مذكرات من التراث المغربي

الاطلاق ، وكان لزاما على الدولة العلوية الفتية أن تشيد لنفسها الأمجاد المعمارية المرتبطة باسمها ، ولذلك وقع اختيار السلطان على مكناس لتكون عاصمة جديدة يقام بها معالم المخزن الجديد ، ولقد كتب القنصل الفرنسي « اسطيل » سنة 1698 قائلا عن قصر مكناس :



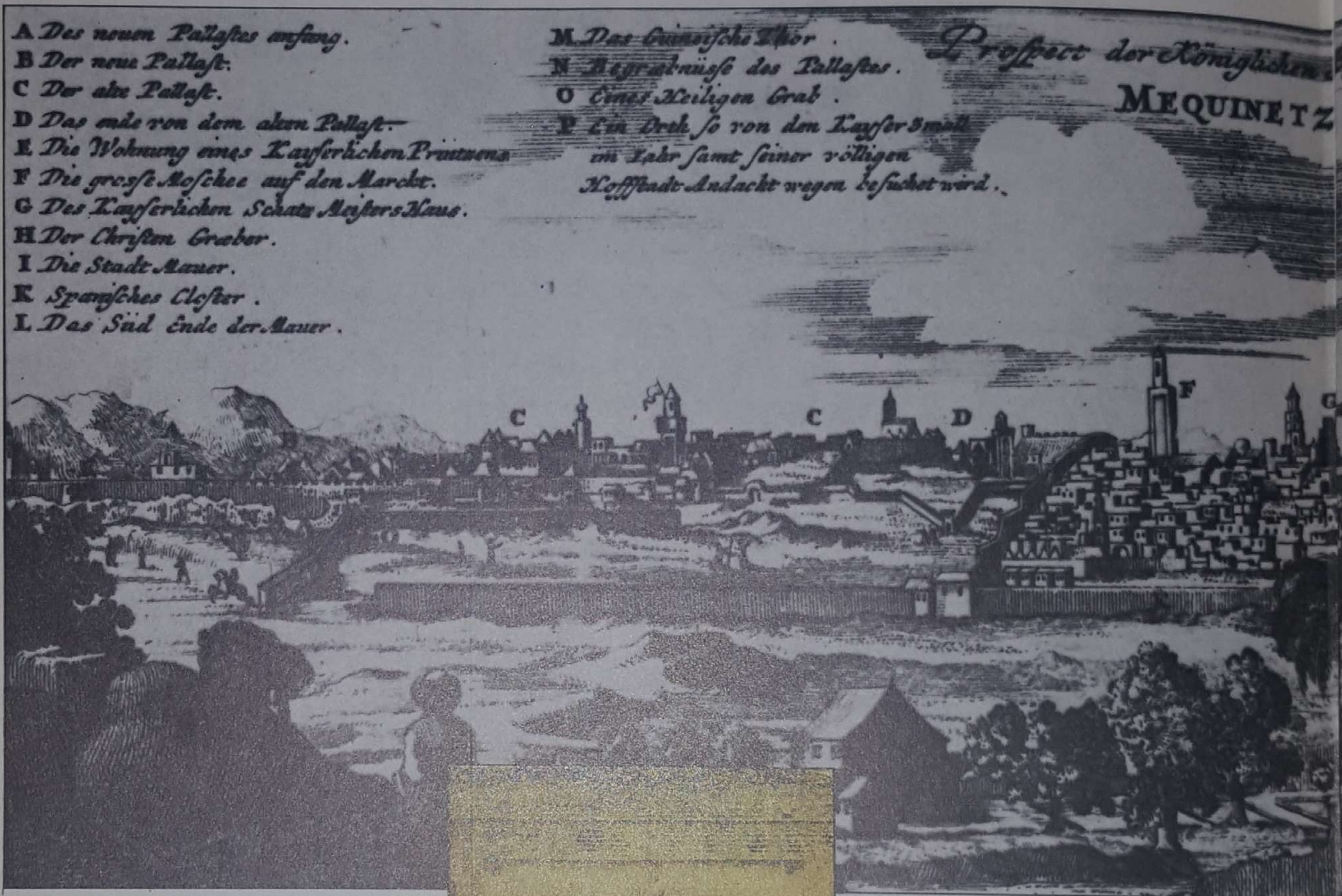


« إن أوصاف الكتاب الذين سيكتبون عن هذا القصر سوف تختلف بسبب ما يدخل عليه من التغيير على رأس كل ست أو سبع سنوات ، ذلك أن ملك المغرب من أحلى شيء عليه أن يأمر بتقويض البناء بمجرد ما يتم بناؤه ، أو حسبما يروج بين الناس هنا ، ان رغبته أن لا تقف الأعمال عند أية نهاية لتظل الرعية منهكة القوى ، حيث يكون عشرة إلى اثنى عشر ألف من العملة يعملون باستمرار ويأتون من جميع جهات المملكة بالتناوب ولا مناص من اطعامهم » .

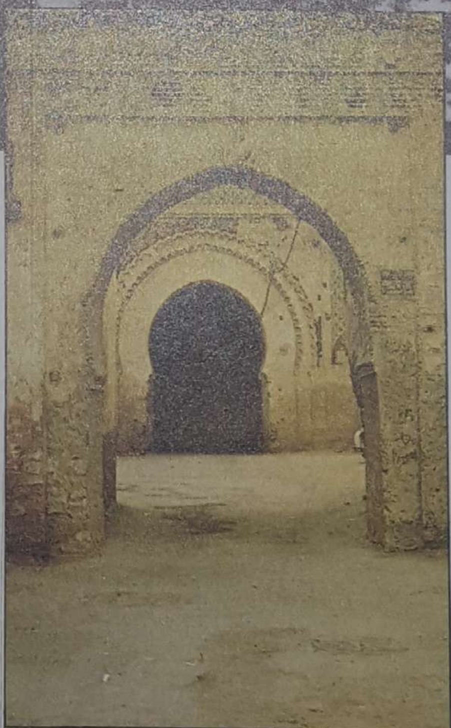
وفي اختيار مكناس عاصمة إشارة واضحة لما كان يختلج ببال المولى اسماعيل من الدوافع

باب عظيم مزخرف بالدار الكبيرة بمكناس .
تصوير أودول .

مولاي اسماعيل



منظر من مدينة مكناس عاصمة مولاي اسماعيل حوالي سنة 1728 .
الخزانة الوطنية بباريس .



الدار الكبيرة . أطلال أحد القصور التي بناها مولاي اسماعيل سنة 1697 بمكناس . تصوير أودول .

السياسية إذ كان من اللازم جعل العاصمة متوسطة في البلاد لاحكام وحدتها ومراقبة شواطئها سواء منها شواطىء الأطلسي أو شواطىء البحر الأبيض المتوسط التي لا تبعد عن هذه المدينة بأكثر من ثلاث أو أربع مراحل .

سياسة المولى اسماعيل

كتبت الصحيفة الفرنسية « الميركور كالان » معلقة على نبأ وفاة المولى الرشيد :

« لقد شهرت القبائل السلاح بكل ناحية ، ووجد المولى اسماعيل نفسه ملزما بتجديد فتح

(الأقاليم) على رأس عبيده السود وبعض الفرق الأخرى من الجند ... وأن ما قام به من الأعمال البطولية أثناء هذه الفتوحات وما أبداه من أقدام كبار القبطانات وتبصرهم ، ليعتبر أعلى رتبة مما أكسب المولى الرشيد ما أكسبه من الشهرة » . وأورد المؤرخ أبو القاسم الزاياني من جهته أن المولى اسماعيل لم يقض سنة كاملة في قصره فيما بين سنة 1672 وسنة 1696 ، حيث ظل في حركة مستمرة يقاتل ويجاهد على جميع الجبهات وكان هدفه الأسمى أن يعيد للدولة المغربية حرمتها في الداخل بتمهيد القبائل ، وفي الخارج بردع الأطماع الأوروبية .

مذكرات من التراث المغربي

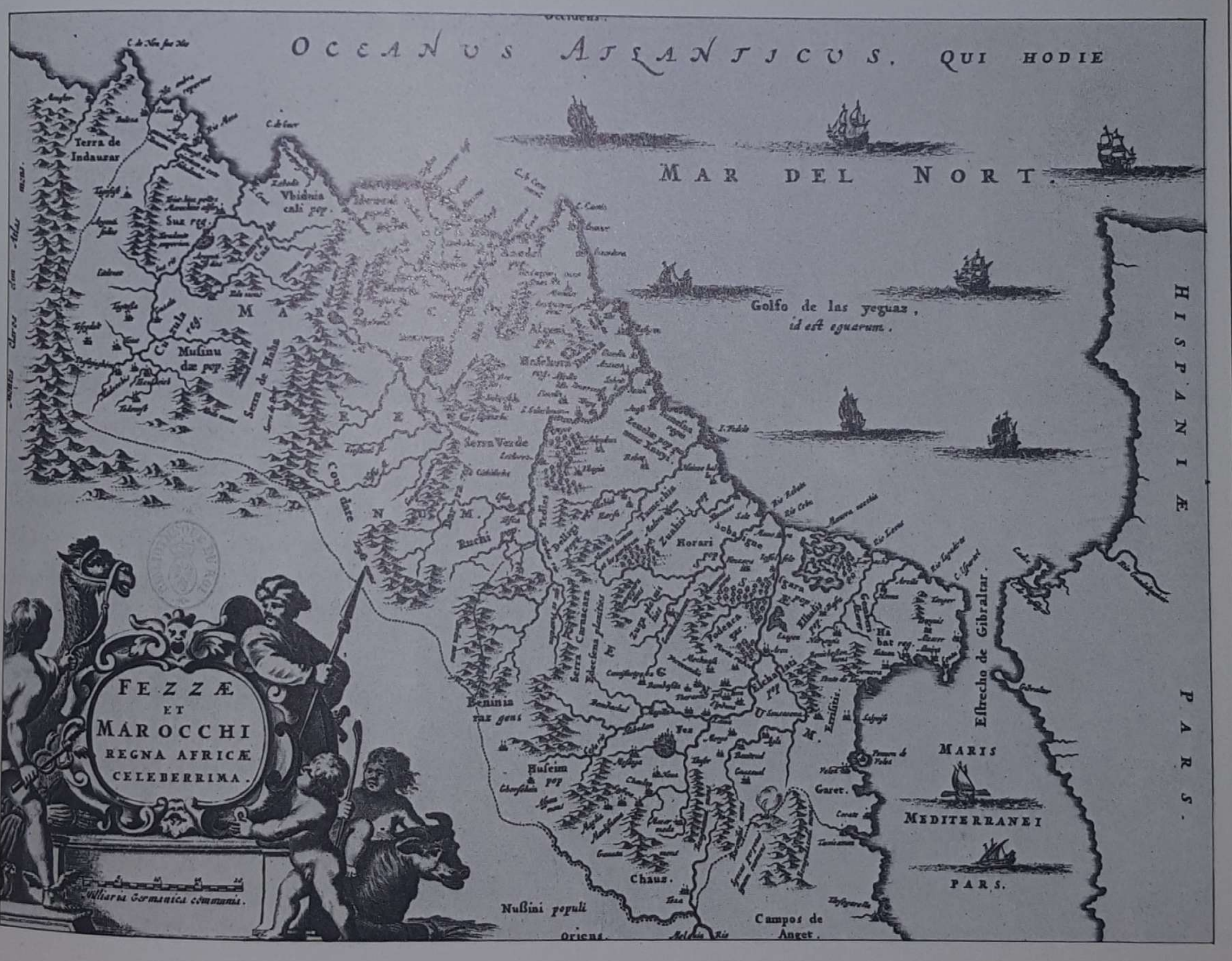
السياسة الداخلية

توطيد أركان الدولة

تميز المولى اسماعيل بإحساس خاص بأمر وحدة الدولة وسلطانها وذهب به حرصه الشديد على ذلك إلى البطش الفظيع بكل من رام المس بها وإن كان من فلذات كبده .

ولقد قاتل في بداية عهده مدة خمسة عشر سنة ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الدائب على الثورة ، وكان قد عاد إلى مراكش بمجرد ما علم بوفاة عمه المولى الرشيد مطالبا بخلافته وبايعته حاضرة الجنوب لما كان له بها من سابق العمل ، فاندلعت بسبب ذلك بينه وبين عمه المولى اسماعيل الذي بويع له بمكناس ، حرب متقطعة بالفر والكر ، يفر المولى أحمد من الحوز إذا زحف المولى اسماعيل إليه وينتقل بأنصاره وثورته إلى ناحية تازة والشمال الشرقي حيث يؤلب القبائل هناك

خريطة « المغرب وفاس » صورها داير سنة 1686 . الخزانة الوطنية بباريس .



مولاي اسماعيل

على السلطان المنشغل بالجنوب ، وإذا رجع المولى اسماعيل مسرعا إلى جهة الشمال كان المولى أحمد يتسلل من جديد إلى الأقاليم الجنوبية ليجدد بها لنفسه معالم الامارة المستقلة ، حتى المولى اسماعيل هذه اللعبة الدموية المرهقة وقبل مبدأ التخلي لابن أخيه عن امارة سوس لكن الأمير الثائر كان لايبغى بخلافة المولى الرشيد بديلا ، إلى أن قتل فجأة في ظروف غامضة بالأطلس الصغير سنة 1685 .

تمهيد قبائل الأطلس المتوسط

شرع المولى اسماعيل في تمهيد المجموعة الصنهاجية وهو مازال يقاتل المولى أحمد بن محرز وكانت قبائل صنهاجة هذه الثائرة بأوعار الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الشرقي مازالت لم تفقد شيئا من قوتها الطبيعية ولا من ضغطها وتشويشها على السهول الممتدة عند سفوح معاقلها ، وذلك بالرغم من فقدانها لزعمائها الأمجاد شيوخ الزاوية الدلائية . ولقد أمر المولى اسماعيل بعدة حركات توغلت في ثنايا تلك الجبال بقصد إشعار رؤوس الفتنة والعصيان أن لا مفر لهم من العقاب ، فانطلقت الجيوش المخزنية من سايس وتادلا وتافيلالت ومن النجود الشرقية وانهزمت عدت مرات أمام القبائل الصنهاجية ، لكنها أرغمتها على السكون والهدوء في النهاية وألزمتها بالأذعان ، ولا شك أن المدفعية الحديثة ساعدت الفرق البخارية على الانتصار ، وأمر السلطان بتشييد سلسلة من القصبات كلف عبيده بحراستها ليحيطوا بالأوعار الصنهاجية إحاطة السوار بالمعصم ، من قصبة تادلا في الجنوب الغربي إلى وطاة بالشرق وتافيلالت بالجنوب الشرقي مرورا بأدخسان (خنيفرة الحالية) وعين اللوح وأزرو وقصبة كيكو .

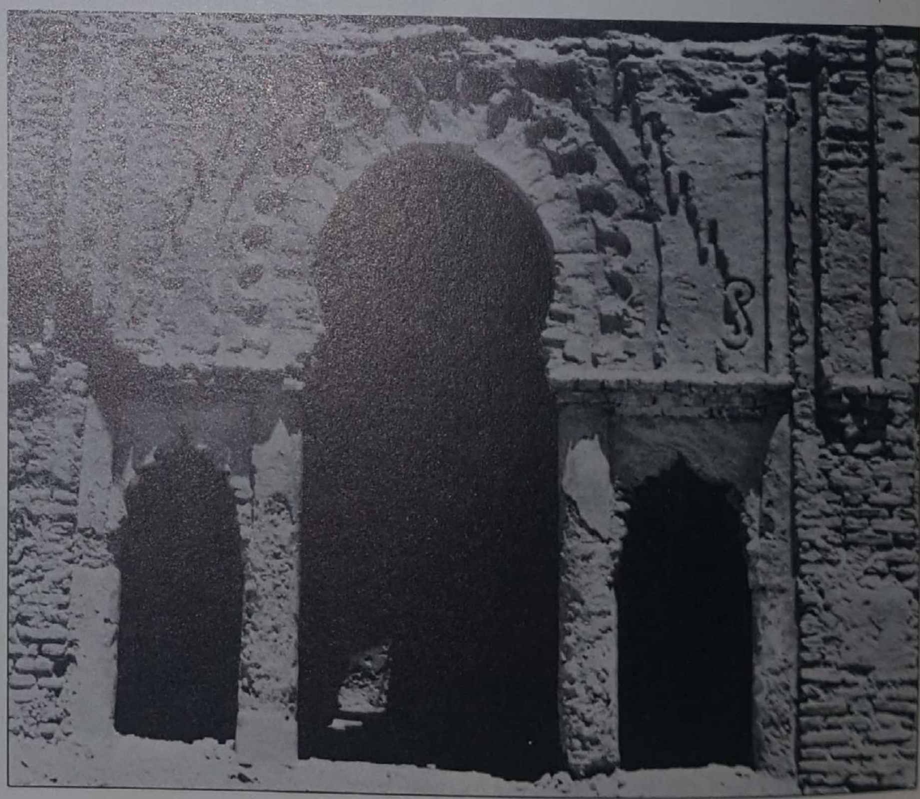
أما قبائل التلال المطلة على السهول مثل كروان وآيت يدراسن فإن السلطان أمر بتجريدها من السلاح وبمصادرة خيولها على الاطلاق ، لكنه أمر في المقابل بأن يوزع عليهم 60.000 رأس من أغنام المخزن مصحوبة ببعض الاعانات ، ليشتغلوا برعيها ونتاجها ويكفوا عن القتال والشغب وكلف بهذه المهمة القائد علي بن يشو السابق الذكر .

السياسة الدينية

ما برح الشعب المغربي ، بالرغم من تمسكه بالسنة ومن اتباعه لمذهب مالك دون غيره من المذاهب ، يبدى ما يتخلل صفوفه من أسباب التباين الجهوي والتمايز الاجتماعي من وراء ستار الوحدة العقائدية ، ولولا ذلك لاستحال إيجاد علة مقنعة لتكاثر الزوايا في البلاد . وإذا كان المولى الرشيد قد أطاح بأخطر تلك الزاوايا على الدولة في القرن السابع عشر ، فإن المولى اسماعيل ترك زوايا أخرى جديدة تنمو وتترعرع في عهده وتحت أحضانه ، مثل زاوية الوزانيين وزاوية الناصريين وزاوية الشرقاويين وزاوية الحنصاليين ، كما أنه عفا عن الدلائيين بعد اعتلائه عرش المغرب ببضع سنوات وأذن لهم بالرجوع من تلمسان والاستقرار بفاس . لكنه أمر على النقيض من ذلك بدك رباط الحاج ابراهيم بن محمد شيخ زاوية تاسافت لمجرد امتناع هذا المرابط من تلبية دعوة المثول بين يدي حضرة السلطان ، سنة 1715.

وكان للزوايا أدوار تأطيرية ما كان الامام ليتغافل عنها فكان حريصا على أن تشجع في هذا السبيل شريطة أن لاتزيغ عنه ، وكان في هذه الحالة يبدي لها ولشيوخها منتهى آيات الاحترام والتقدير ، وأحسن مثال على ذلك معاملته للشيخ عبد القادر الفاسي ولولده وخلفه على الزاوية الفاسية الشيخ محمد بن عبد القادر ، وكانا كلاهما شيخ الجماعة في عصرهما ، وكذلك عامل السلطان بتمام العناية والرعاية العالم والكاتب صاحب التآليف المتنوعة الشيخ الحسن اليوسي .

وكان من الطبيعي أن يبدي المولى اسماعيل عناية خاصة بالأسر الشريفة ، مما خفف شيئا ما

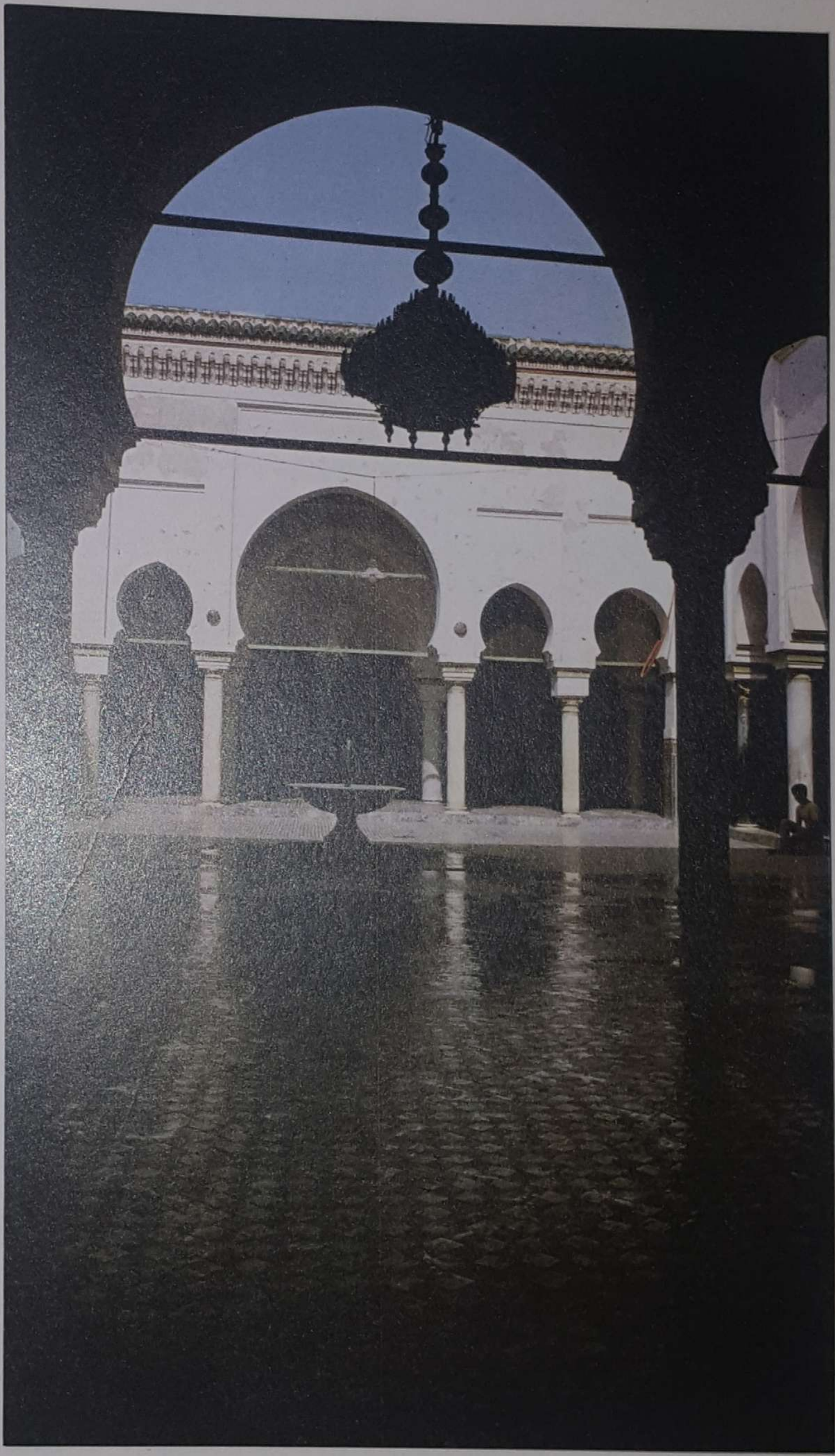


باب مسجد بتامكروت ، مهد الطريقة الناصرية ببلاد درعة .
المكتب الوطني المغربي للسياحة بالرباط .

من نقمة أهل فاس على الدولة من جراء تصرفات العمال ، ولقد أحسن السلطان بكل إحسان للأسر الادريسية وأمر بتوسيع الضريح الادريسي والمبالغة في زخرفه كما أمر بشيء من ذلك لفائدة ضريح سيدي علي بوغالب ، وكان المولى اسماعيل يعلم علم اليقين أن أمير المؤمنين هو المثل الذي يُقتدَي به فكان متشددا في أمور الدين بدافع من الايمان ومن الحكمة السياسية ، ولقد وصفه الفرنسي « مويط » وهو خارج من قصره للاستسقاء سنة 1680 فقال :

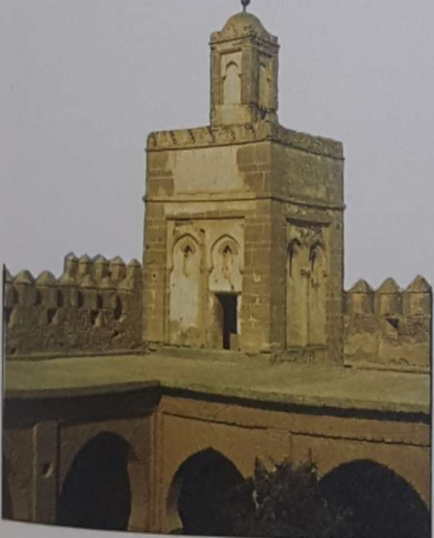
« ويوم 17 مارس ارتدى كساء باليا وسخا وتعمم بعمامة رديئة وخرج حافيا من القصر رفقة حاشية بلاطه حفاة عراة الرأس يتبعهم جمهور المدينة على هيئة مماثلة ، فزار في هذا الموكب جميع أضرحة أولياء ملته ودام ذلك من الصباح إلى الرابعة عشية » .

وشاهده « بيدو دى سانتولون » يترجل عن فرسه ويسجد حمدا لله على ما منحه من رغبة أكبر ملوك النصرانية في صداقته ، وما كان المولى اسماعيل وهو يفعل إلا مقلدا لاحدى سنن الرسول عليه السلام الذي كان كثيرا ما يسجد شكرا لله عز وجل .



ضريح مولاي ادريس بفاس . الصحن الذي وسع بأمر من مولاي اسماعيل . تصوير أودول .

مئذنة المسجد بقصبة بولعوان .
تصوير أودول .



السياسة الخارجية

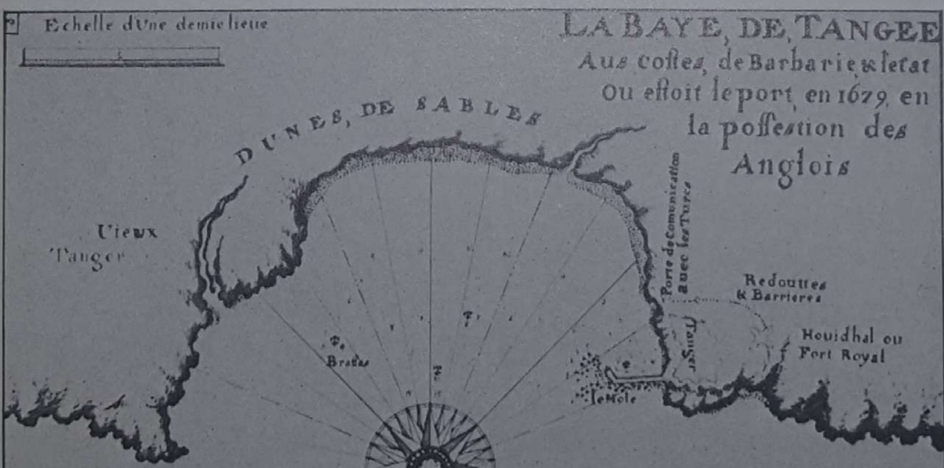
كانت الغاية من السياسة الداخلية هي إثبات أركان الدولة الاسلامية في مجموع أقاليم المملكة ، أما السياسة الخارجية فإنها كانت ترمي إلى الدفاع عن حوزة دار الاسلام بعد أن أصبحت الأخطار التي تهددها في القرن السابع عشر تأتي كلها من جهة البحر ، لكن كيف يستطيع أن يواجهها شعب كان مفتقرا إلى التقاليد الملاحية العريقة ؟ لقد كاتب المولى اسماعيل ملك انجلترا « جيمس الثاني » الذي كان قد عزل قهرا عن العرش قائلا :

« والله ، لو لم نكن عربا نجهل كل شيء عن الملاحة ، أو كان لدينا من يحسن هذه الصناعة أو من نأتمنه على جيش ونسلم له أمر قيادته ... لكنا بعثنا لكم بالجنود التي تساعدكم على الرجوع إلى انجلترا » .

وغني عن البيان أن كلمة « عرب » في هذا السياق تفيد معنى البدو وهؤلاء البدو سكان البراري والصحاري أزموا منذ القرن الخامس عشر بأن يزحفوا نحو الشواطىء الأطلسية التي باتت جبهة للمواجهة مع النصارى على طول امتدادها ، وكان من فضل ملوك العصر العلوي الأول أن تمكنوا من إرساء تلك الجبهة هناك ، وأنهم جعلوا من المشاعير الاسلامية المتقدة سدا منيعا أمام تفوق الأساطيل الأوروبية المطرد ، وكان المولى اسماعيل أول من أثبت المعالم في هذا السبيل ، حيث كان من الضروري أن تُسترجع الموانىء المحتلة أول الأمر ، ثم بعد ذلك كان لابد من مزاولة الجهاد على البحر كيما يحتفظ المغاربة بحرية المبادرة في عرض مياههم الاقليمية ، وكان من واجبات الدولة أن تسعى جادة في افتداء المسلمين المستعبدين في بلاد النصارى ، وكان لابد إلى هذا كله ، أن تبقى الموانىء المغربية مفتوحة أمام التجار الأوروبيين لتتزود الدولة الاسلامية مما لا تنتجه وهي في أمس الحاجة إليه .



مدينة العرائش عند مصبّ نهر لكوس . وقد أجلى مولاي اسماعيل الأسبانيين عنها سنة 1689 .
تصوير أودول .



تصميم خليج طنجة سنة 1679 .

تحرير الموانىء المحتلة

ما كان المولى اسماعيل لينسى ان أوجب واجبات أمير المؤمنين أن يحفظ الاسلام في أراضيه ، ولذلك سرعان ما تعلق بأمر تحرير الموانىء المغتصبة ، وتم تحرير المعمورة سنة 1681

وتحررت طنجة سنة 1684 وكان تحرير العرائش سنة 1689 ، ويروى أن المغاربة عادوا منذ ذلك اليوم يحتذون « بالبلاغى » الصفراء بعد أن كلنوا لايحتذون إلا باللون الأسود منها من يوم باع الأمير السعدي ذلك الميناء من نصارى الاسبان سنة 1610 م .

ثم ابتداء من سنة 1694 أمر المولى اسماعيل الباشا علي بن عبد الله بجعل الحصار على مدينة سبتة ، لكن الحصار دام ثلاثين سنة بدون جدوى ، وسبب ذلك أن مضيق جبل طارق غدا منذ نهاية القرن السابع عشر من الأهمية الاستراتيجية بمكان ، فلقد انتهزت انجلترا فرصة الحرب الأوروبية التي اندلعت سنة 1700 م بسبب النزاع على خلافة عرش اسبانيا لتحتل ميناء جبل طارق سنة 1704 ولتعوض به عن فقدان طنجة . ولما كان عرش اسبانيا قد آل إلى الأسرة المالكة الفرنسية في شخص الملك فيليب الخامس حفيد لويسي الرابع عشر ، فإن المحافظة على سبتة أصبحت أمرا حيويا بالنسبة لاسبانيا التي انتزع منها جبل طارق ، ولذلك استمات الجيش الاسباني في الدفاع عن سبتة واستطاع تلافي الحصار البري لعجز المغاربة عن اتمامه من جهة البحر ، ورفع الحصار أخيرا سنة 1720 وتعذر بسبب ذلك محاصرة مزغان ومليلة .

على أن عجز البلاد عن بناء أسطول قادر على مواجهة الأساطيل الأوروبية في عرض البحار لم يقف حائلا دون مزاولة الجهاد البحري الذي نغص بالفعل على الملاحة الأوروبية حريتها في عرض المياه المغربية وأرغم قادتها على التفاوض والتراضي مع المولى اسماعيل .

الجهاد في عرض البحر

يتعمد الأوروبيون نعت هذا النوع من الجهاد بأنه محض قرصنة ، وهب أن ذلك كان

رسالة مولاي اسماعيل إلى

بسم الله الرحمان الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الواحد الفرد الصمد لا إله غيره ولا معبود سواه بالحق ربكم ورب آبائكم الاولين .

من عبد الله المتوكل على الله المفوض جميع أموره كلها إلى مولاه أمير المومنين المجاهد في سبيل الله رب العالمين الشريف الحسني أيده الله وكان له وليا ونصيرا آمين .

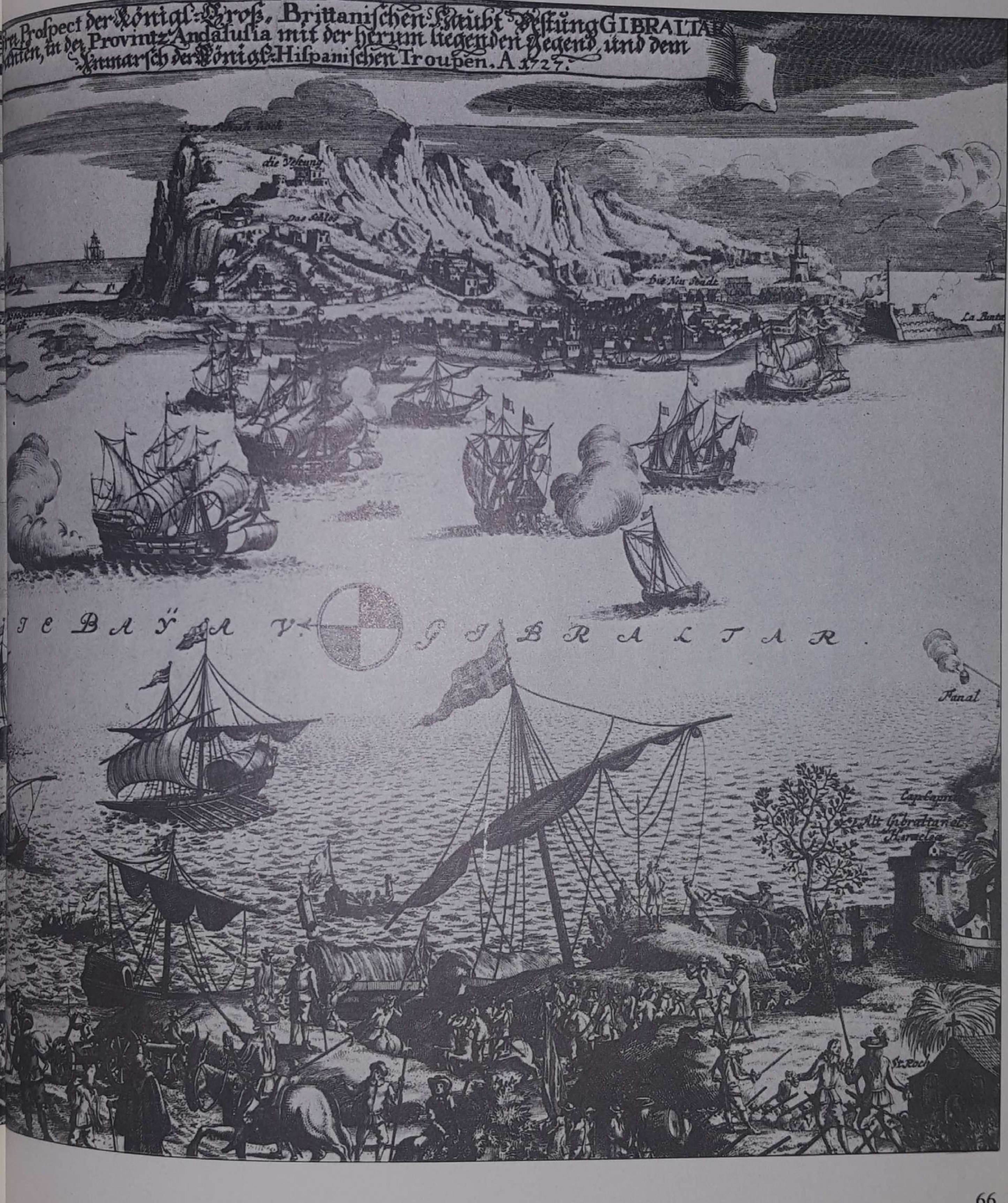
الخاتم الشريف
وبداخله : اسماعيل ابن الشريف الحسني رعاه الله .
وبدائرته : العز والهنا وبلوغ المنا

إلى المتولي أمر عمارة سفن الانجليز البحرية وكافة أهل ديوانها من الفئة الانجليزية وغيرها من جميع من له هناك كلام وزيادة ونقصان وحل وإبرام سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسله وأنبيائه الكرام ثم اهتدى . أما بعد ، فاعلموا أن موجب الكتب إليكم وورود هذا المسطور الشريف من لدنا عليكم هو أنه لما بلغنا على لسان من نطق به وبخبر من أنكم نزلتم ودخلتم جبل طارق وحللتم فيه واستوليتم عليه عنوة وبعد استيلائكم عليهم ودخولكم إليه بعثتم في الوقت مركبا من مراكب سفنكم وعمارتكم لسبتة بقصد أن يتكلموا مع أهلها ومضمن كلامكم مع أهل سبتة المذكورين أنكم قلتم لهم في خطابكم إياهم إذا هم كانوا على طاعة انبلادور فانكم تبقوهم بسبتة وتمدوهم وتحذروهم عليهم من عندكم ويبقون على عداوتهم وعلى شرهم مع المسلمين وإما إذا كانوا يبقون على طاعة ولد الفرنصيص فإنكم تشاروهم وتخرجوهم من سبتة ولا تبقوهم فيها فهذا محصل كلامكم مع أهل سبتة وبهذا وجهتم لهم أهل السفينة يتكلمون معهم وأنتم معشر الانجليز كما علمتم بيننا وبينكم صلح ومهادنة وحتى الباشادور الذي أردتم أن توجهوه لنا كنا ننتظره ونترقب مجيئه لنزيد في الكلام معه بما يليق بالجانبين وهذه المهادنة التي بيننا وبينكم تقتضي وتوجب حقوقا وتؤكد عادة أمورا وضوابط وان لم يتقدم لها ذكر في شروط المهادنة فقبل اليوم الذي لم تكن لكم ولهة ولا اهتمام في هذه الكوشطة الموالية لبلاد سبتة من تلكم العدوة لم نكلفكم بهذه الحقوق ولا أشرت عليكم بشيء منها تصريحا ولا تلويحا لانا إذ ذاك لم يتعلق لنا بها غرض يوجب الكلام معكم عليها ولا تكليفكم بها وأما اليوم فلقد عرفتم وتحققتم أننا محاصرون لسبتة ومضيقون

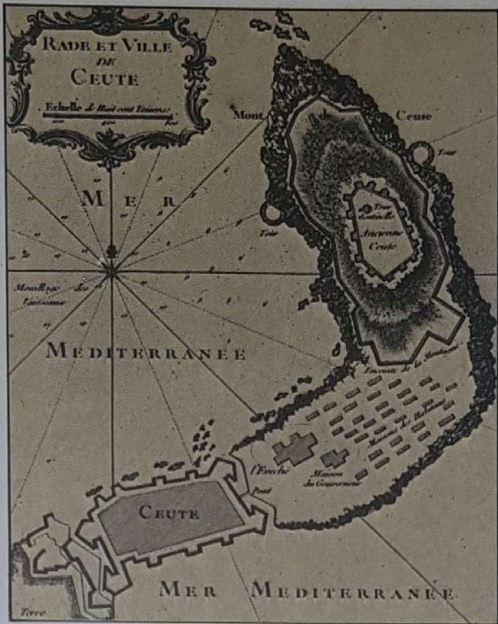
مولاي اسماعيل

البرلمان الانجليزي

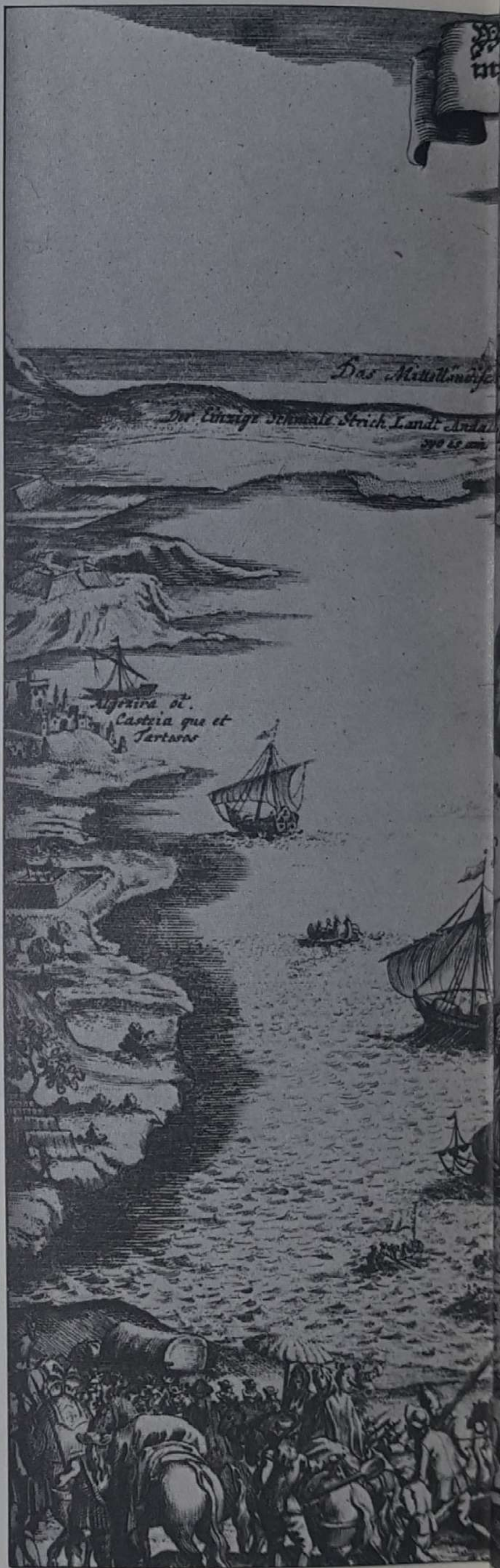
عليها أشد الضيق وما فيها من الاجناس إلا جنس الاسبنيول الذي أنتم تحاربونهم اليوم فإذا أنتم لم تنفعونا في هذه المهادنة في خلاء سبتة في هذا الوقت ففي أي وقت تنفعنا المهادنة معكم وأي نفع أو مهم يترتب على المهادنة إن لم تساعدونا على هذه المسألة فهذا انبلادور الذي تحبون أن تكون سبتة على طاعته هو جنس وأنتم جنس والاسبنيول جنس وأديانكم مختلفة ومتباينة جدا ونحن المسلمون جنس آخر فالذي بينكم وبيننا من مخالفة الاديان بينكم وبين أجناس النصارى الاخرين وزيادة فلماذا تحبون أن تكون سبتة للانبلادور ولا تحبونها للمسلمين الذين تقدمت مهادنتهم معكم وجرى كلام المنافع البرية والبحرية بيننا وبينكم فإعانتكم للمسلمين ومساعدتكم لنا في خلاء سبتة أولى وأحسن وأفضل وأنسب من إبقاء جنس الاسبنيول ورائحته بها على طاعة انبلادور وتحتاجون مع هذا إلى الكلفة الكبيرة في الخدمة عليها وكأنكم لم تعرفوا وتطلعوا على ما أنفق الاسبنيول على سبتة ومن مات منهم عليها والله لو أن جيش العرب ينصحون كل النصح ويجدون كل الجد بغير حضور سلطانهم ما بقيت نصارى الاسبنيول بسبتة إلى هذا الوقت وما يعرف نصح العرب وجدهم واجتهادهم واجتماع كلمتهم إلا إذا تحرك ملكهم بنفسه فإنهم يجتمعون عليه ويناصحونه حمية وخوفا ومنافسة في طاعة ملكهم ورضى خالقهم والتقرب بالجهاد إلى ربهم وأما إذا لم يحضر معهم ملكهم فلا يرضى بعضهم بمتابعة بعض غالبا وهم أناس بر لا بحر وسبتة استدار البحر بثلاثة أرباع منها ، فالنصارى أيما يشاورون المسلمين في ربع واحد ونحن أناس عرب لم يكن لنا كبير منفعة في ذلك البوغاز ولا نحن أهل سفن ولا قلع وسبتة ما حصرناها إلا لمجاورتنا إياها وقربها منا وكونها جاءت في عدوتنا وفي برنا وهي معروفة منذ قديم الزمان للاسلام واليوم والله ما لنا بعمارتها من غرض ولا حاجة فقد كان أهل الاسلام يريدون عمارتها حيث كانت تلك العدوة الاندلسية لهم واليوم حيث هي للنصارى فأي حاجة لنا بعمارة سبتة بالمسلمين ومع هذا كله والله إلا عمارتها بالمسلمين أولى من عمارتها بالاسبنيول وإن كانوا على طاعة انبلادور لانكم أهل بحر وأهل سفن والبوغاز معلوم لكم ولا ضرر عليكم في عمارتها بالمسلمين فضلا عن خلائها الذي هو قصدنا ومرادنا وسبتة كما لا يخفاكم إذا لم يمدها الاسبنيول من الجهة الموالية لكم فتمدها مالقة وغرناطة ووهران وتبقى على طاعة صاحبها اليوم وهو ولد الفرنصيص وتلك الكوشطة ليست لكم اليوم بدار مقام ولا قرار ولا استقرار فإن وقت ترسية السفن في بلادكم ووقت مشتاها في مراسيكم قد قرب وإذا أنتم بتلك الجزيرة إدالة من أربعة آلاف أو ثمانية آلاف ورجعتم لبلادكم فإن الاسبان لا يقرونهم بعدوتهم أصلا والله لو أنكم رحلتم عنها وأبقيتم أربعين ألفا فيما نظن لما أبقوهم معهم في بلادهم فضلا عن إبقاء العدد اليسير وإذا كنتم تدخلون البلاد وتخرجون منها بلا فائدة كبيرة فأي فائدة أو مزية في تحرككم إليها وهجومكم عليها وأي فائدة ومحصل ترجون نفعه في النفقة الكبيرة عليها وما ينوبكم من المشقة والكلفة في تحملها على أننا ما طالبناكم وأوردناكم في الاعانة على سبتة لنعمرها بالمسلمين وما أحببنا منكم إلا خلاءها بحيث لا يعمرها أحد من المسلمين ولا من النصارى أيا كانوا وما خلاؤها إلا في نفعكم بخصوص لان ضرر المسلمين بسبتة إنما هو بمجرد المجاورة لا غير وهو أخف وأيسر من ضررها عليكم أنتم الذين تحتاجون ذلك البوغاز لسفنكم في كل سنة مرارا فتدبروا في هذا الكلام واعرفوه وتفهموه بعقولكم واضربوا عليه ديوانكم فيما بينكم تجدوه أمرا مفعولا معجل النفع ظاهر الفائدة وأجيبونا عنه بالفور والعزم واذكروا لنا ما اجتمع عليه رأيكم وديوانكم لنراجعكم بما يظهر لنا نحن ليكون الاتفاق على خلاء سبتة وقلع جدورها إن شاء الله وها نحن ننتظر جوابكم يأتينا عزما من غير إبطاء ولا مهلة .


Prospect der Königl: Groß, Brittanischen Festung GIBRALTAR
in der Provintz Andalusia mit der herum liegenden Gegend, und dem
der Königl: Hispanischen Troupen. A 1727.
die Vestung
Das Schloß
Die Neu Stadt
La Punta
BAŸA V. GIBRALTAR.
Fanal
Alt Gibraltar et Heraclea
St. Roch

مولاي اسماعيل



1


2



3

1

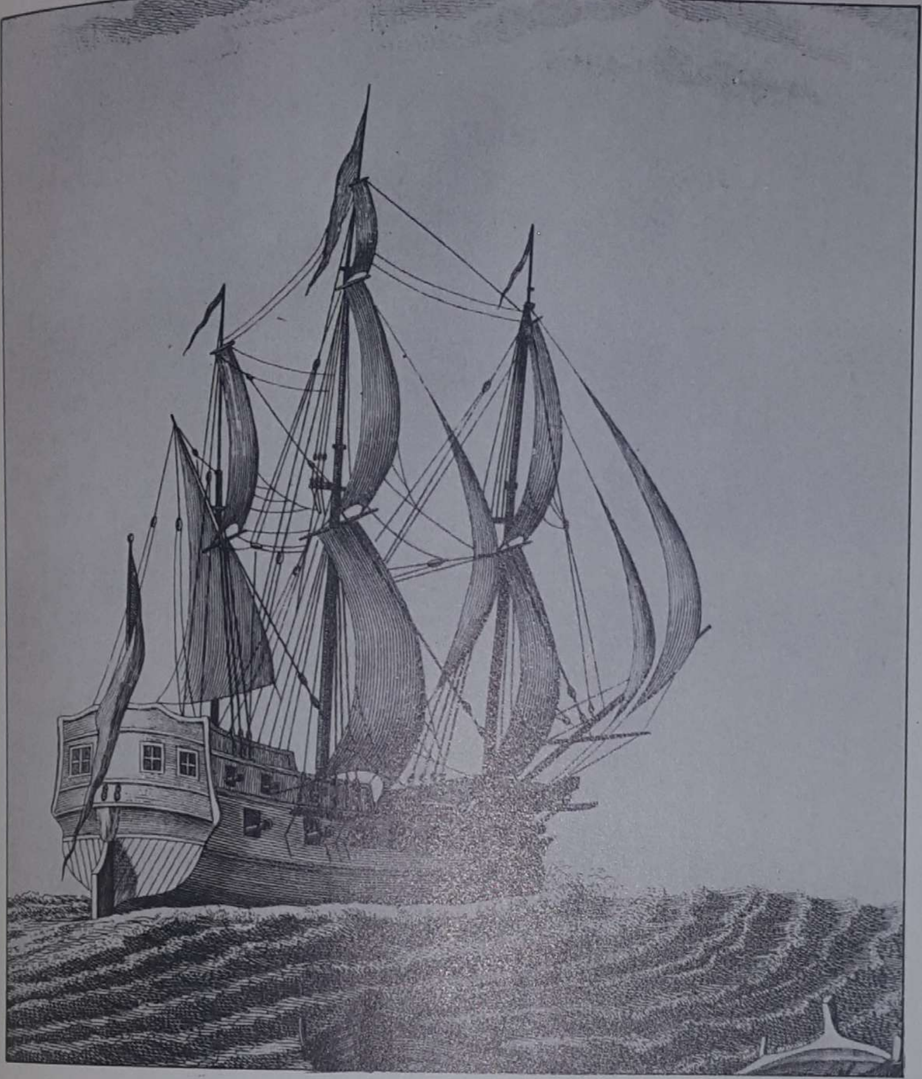
مرسى سبتة . وقد حاول مولاي اسماعيل تخليصها من الاسبانيين .
تخطيط وضع في القرن الثامن عشر .
الخزانة الوطنية بباريس .

2

الأسطول الانجليزي بجبل طارق سنة 1727 .
الخزانة الوطنية بباريس .

3

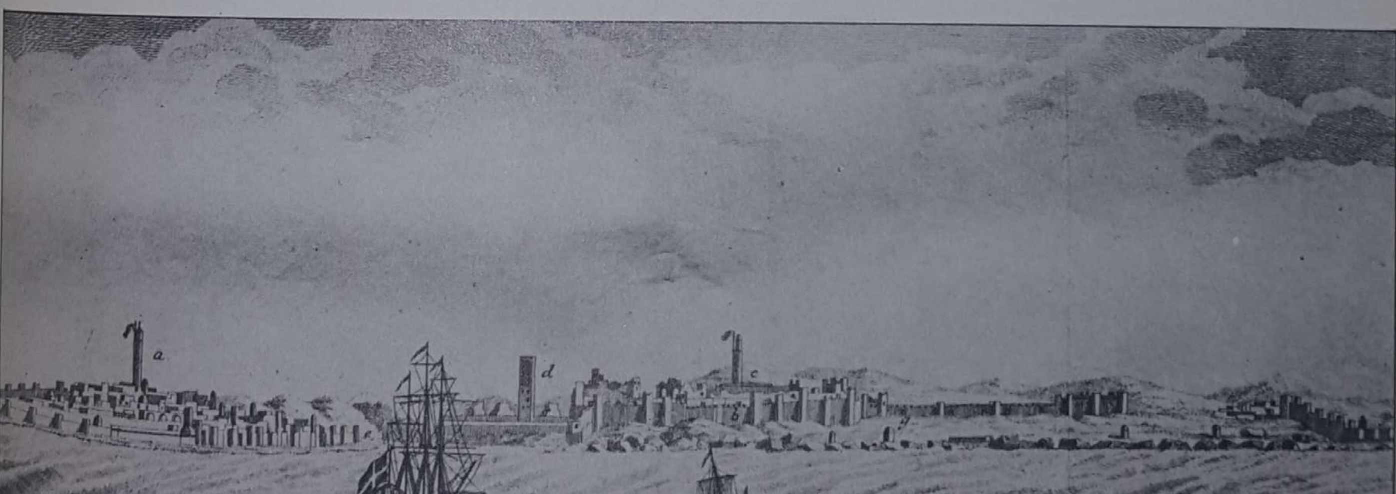
خريطة خليج جبل طارق في أوائل القرن الثامن عشر .
الخزانة الوطنية بباريس .



ضربا من القرصنة ، فإن الأساطيل الأوروبية كانت قد أحرزت قصب السبق فيها بما اتفق لها منذ أواخر القرن السادس عشر من التفوق كما وكيفا على أساطيل ايالات الشمال الافريقي برمتها ، والحقيقة أن القرصنة كانت ناجمة عما كان يجري من الصراع العنيف بين الدول الأوروبية للسيطرة على البحار ، وان الأساطيل الهولندية والأساطيل الانجليزية لم تهيمن أثناء القرن السابع عشر إلا بواسطة القرصنة حيث كانت مراكبها تسطو على مراكب الاسبان والبرتغال لدى عودتها من أمريكا الجنوبية محملة بالخيرات ، ولم يلبث الفرنسيون أن ساروا في نفس النهج ، وكانت كل دولة أوروبية تروم الاستحواذ بمفردها على ما كان ينهبه جيرانها من كنوز القارات الأخرى ، ونظرا لوجود المغرب على الطريق المؤدية إلى بحار الجنوب ، فإنه أقحم إلى حد ما في هذه النزاعات بغير إرادته . ولقد ساعد على ذلك عاملان اثنان ، أولهما الحاجز الرملي الذي يمتد على طول الشاطىء الأطالسي المغربي بحيث يشكل خط دفاع طبيعي منيع ضد كل مطاردة عدائية ،

سفينة مغربية (قرصان) في القرن الثامن عشر عن هوست (1779) . الخزانة العامة بالرباط .

الرباط وسلا في القرن الثامن عشر عن هوست (1779) . الخزانة العامة بالرباط .



شهادة موضوعية عن حياة أسرى النصارى بدار المخزن بقلم الانجليزي بريثويت 1727

يشكل الاسرى المسيحيون هيئة متميزة في الدولة ، فهم خاضعون لما يبغي بهم الامبراطور ، ومع ذلك فإنني لم أدخلهم في عداد رعايا الامبراطورية ولا أعتبرهم منها ، لانهم لم يخرجوا لا عن دينهم ولا عن إخلاصهم الذي أقسموا به العهد لاميرهم ، وجلهم يحدث نفسه باحتمال العودة إلى وطنه في يوم من الايام ، والحقيقة أن أوضاعهم كانت صعبة إبان المولى اسماعيل ، إلا أن الذين يروون ذلك كانوا يبالغون في وصف تعاستهم ، وشتان ما بين حالتهم وما يوجد عليه العلوج من البؤس ، والواقع أن الامبراطور كان يستعمل أغلبيتهم لتشييد بناياته ، ومهما كان من عملهم فإنهم كانوا لايتجاوزون أبدا ما كان يقوم به العمال لدينا من الاشغال بالمياومة ، وكان إلى هذا يسمح للعديد منهم بإقامة حان لبيع الخمر ، شريطة أن يتكفلوا بإسعاف إخوانهم وبأن يمدوا عددا من سجناء بني جنسهم من ضرورات الحياة ، بحسب ما يحدده السلطان لذلك بالنظر إلى ما يقدره من مردود تلك التجارة عليهم ، ثم إن الامبراطور كان يوزع الخبز عليهم كل يوم ، وكان لايرغم رؤساء المراكب أبدا على الخدمة ، وكل ما كانوا يكفلون به أن يؤدوا ضريبة بسيطة للغاية لقائدهم الذي يكون دائما نصرانيا يختار من بين صفوف السجناء ، والدار التي تقفل أبوابها عليهم بعيدة من أن تبدو على ما تبدو عليه سجوننا من الشناعة . ولكل أمة بها غرف خاصة بها وللجميع حانات وسوق تباع به مختلف الامتعة والفواكه ، والعامل عليهم له سكنى معتبرة ، ولا يتجرأ المغاربة على دخول هذا المبنى إلا إذا كان ذلك برضى السجناء ، وإننا باختصار رأينا عددهم يعيشون ببلاد البربر في جو من الرخاء ما كانوا ليحظوا بمثله في مسقط رأسهم ، وأما أن أصابهم المرض فإنهم يدخلون الدير الذي يتوفر فيه لهم جميع ما يتصور من أسباب العلاج والاغاثة ، وإن بعث لهم أقاربهم من أوروبا بشيء من النقود فإنهم يتوصلون بها لامحالة ، ويصرفونها ولا خوف من أن ينتزعها منهم أحد ، إلا أن يختلسها منهم بعض رفاقهم ، ولقد حدث ذلك أكثر مما حدث ان استفاد المغاربة من تلك النقود .

ويجوز الجزم بأن أوضاع السجناء المسيحيين أقل صلة بالعبودية من أوضاع المغاربة أنفسهم الذين هم دونهم من حيث التمتع بما يملكون وامتلاك ما يكسبون ، ويوجد من بين هؤلاء النصارى من هم على درجة عالية من الغنى ولقد خرج العديد منهم كما شاهدنا بالعيان ، بأموال طائلة والعديد منهم يملك البغال ، وهناك من له خدام يقومون بخدمته ، فهذا هو الذي يسمى بالاسر الذي لايطاق وهذه هي المعاملات الوحشية التي تحدث بها بعض الروايات وتهرج لتجعل اسم الاتراك والمغاربة ممقوتا في بلاد النصرانية جمعاء ... ولا أنفي أن بعض الحالات المأساوية كانت تشهد من حين لآخر بقساوة هذا الامبراطور حيال السجناء النصارى ، ولكنني موقن بأن هؤلاء كانوا يستحقونها في أغلبية الاحيان ، وأقول قولي هذا لا لأنوه بالمغاربة ولا لأصفهم بأحسن مما يستحقون في الواقع ، إنما قصدي أن أنقل الحقيقة بكل تجرد واوكد أنني لا أجزم إلا بما لا سبيل إلى ضحده .

ترجمة تلقائية عن الفرنسية لرحلة بريثويت إلى مكناس سنة 1727

وكانت المراكب على صغر حجمها آنذالك لاتتجاوز ذلك الحاجز الرملي إلا في حالة مد البحر ، أما بعد الجزر فإن المراكب تكون كالواقع في فخ خفي ، وكان بعض كبار القراصنة الأوروبيين على علم بذلك وأنهم استفاذوا من انهيار السلطة المركزية المغربية خلال النصف الأول من القرن السابع عشر ليحولوا مصب نهر أبي رقراق إلى قاعدة للقرصنة واقعة أحسن موقع على طريق الأساطيل الكبرى .

أما العامل الثاني فهو أن سكان الرباط وسلا كان معظمهم آنذاك يتركب من آخر من ألزم بمهاجرة الأندلس من مسلميها سنة 1609 ، فرحبوا بأولائك القراصنة الأوروبيين الذين اعتنق بعضهم الاسلام وجعلوا من خبراتهم الملاحية وسيلة للانتقام للأندلس المسلمة وجددوا معالم الجهاد الشرعي في عرض البحار ومن لم يجاهد بنفسه جاهدا بأمواله لبناء الأساطيل وإقامتها .

ولما كان من قوانين الشرع أن يعود خمس الغنائم إلى بيت المال ، فإن المولى اسماعيل ما كان ليتغافل عن تتبع تلك الأعمال الجهادية التي لم تكن منهلا جبائيا وحسب ، بل كانت وسيلة نافذة من وسائل السياسة الخارجية سهرت الدولة العلوية منذ ذلك الحين على أن تنفرد بها للضغط على الخصوم والتفاوض معهم ، ولقد أظهر المولى اسماعيل مهارة فائقة في هذا الصدد .

افتداء الأسرى

إذا كان الجهاد يلزم الفرد بالدرجة الأولى ، فإن افتداء المسلمين المستعبدين بدار الحرب كان يعتبر من واجبات الأمير ، ولقد احتل هذا المشكل مركز الصدارة في تاريخ العلاقات بين المغرب وأوروبا طوال العصر العلوي الأول ، ذلك أن المولى اسماعيل بادر إلى احتضان كل من كان يقع أسيرا من النصارى بيد المجاهدين المغاربة الذين كانوا فيما مضى يتصرفون في أسراهم بمخض أرادتهم أو إرادة شركائهم ، وكان في هذا الأمر ما كان من الأبعاد الأخلاقية والسياسية ، ولذلك ما ان استرجع المخزن كامل سلطاته في عهد المولى اسماعيل ، حتى جعل مصير الأسرى الأوروبيين بيده ، لتكون مخاطبة النصارى في شأنهم على لسان واحد وليكونوا وسيلة لافتداء المسلمين

تبادل الأسرى في القرن الثامن عشر عن أسكر . الخزانة العامة بالرباط .



سفن شراعية حربية أوروبية في القرن الثامن عشر . وكان يجدّفها الاسرى المسلمون . الخزانة الوطنية بباريس .



المستعبدين بأوروبا ، وهكذا أضحى أساس التفاوض بين المغرب والدول المسيحية يدور حول قضية المفاداة . وكان ذلك من أسباب تأزم العلاقات بين لويس الرابع عشر والمولى اسماعيل ، إلى ان انقطعت الصلات بينهما ابتداء من سنة 1708 من جراء تعنت الملك الفرنسي وعدم مطاوعته للحلول التي كان المولى اسماعيل يقترحها عليه ، فإنه كان يرفض أداء ما كان السلطان يجعله من الأموال في فدية ما كان بيده من أسرى النصارى كلما كان عددهم يفوق عدد الأسرى المغاربة بفرنسا ، وإذا عرض عليه السلطان المفاداة رأسا برأس ، فإنه كان يتهرب منها متدرعا بكون أسرى المسلمين بفرنسا لم يكونوا من وطن واحد ، وكان المولى اساعيل يمتعض كثيرا لهذا التمييز النصراني بين أبناء الملة المحمدية الموحدة .

وكان عدد المسلمين المجبرين على التجديف بالأساطيل الفرنسية أو غيرها من الأساطيل الأوروبية مرتفعا بحكم كثرة تلك الأساطيل ، وكانت عيشتهم أشقى وأتعس من عيشة أسرى النصارى بالبلاط الاسماعيلي حيث كانوا يعاملون بمعاملة « العبودية المنزلية » التي لا يمكن أن تقارن بعبودية ما كان يلزم به المسلمون من الأشغال الشاقة على الأساطيل ، وإن المولى اسماعيل كان يحتاج إلى خبرات أسراه التقنية أكثر مما كان يحتاج إلى سواعدهم ولقد كان لبعضهم حظوة كبرى لديه فكان لايرد أدنى طلب يتقدم به إليه المعلم « خوان الكطلاني » الأصل ، لما كان يعبره من الاعتبار حسب ذكر الانجليزي « جون ويندس » .

المبادلات مع أوروبا

ترتب عن روح الصراع التي كانت تطبع العلاقات بين المغرب وأوروبا ان تجمعت وسائل معالجتها في قبضة السلطان ، فلقد كان من واجب المولى اسماعيل أن يراقب الجبهة على طولها ليتلافى كل مفاجأة ، مما كان يضيق بالتجارة والمبادلات ، وترددت شكوى المراسلين الأوروبيين من ذلك بما يحمل على الملل حيث جعلوا شبه شعار لهم أن ينوهوا بالمقدرات التجارية المغربية ويندّدوا بتفريط المخزن فيها ، وما ذلك إلا ادعاء من ادعاءات الرأسمال الأوروبي الناهض الذي غدا يعي أن حرية المبادلات هي السبيل الفسيح لاثبات معالم التفوق الأوروبي على باقي المعمور .



وصول السفير سانتولون إلى المغرب سنة 1693 . الخزانة الوطنية بباريس .

مذكرات من التراث المغربي

لكن المخزن المغربي لم يكن لينخدع لهذه الأقوال ولقد وفق إلى الرد المناسب حيث لم يبْخل على التجار الأوروبيين الذين لم يخلوا بمصالح الأمة الاسلامية بالمساعدة والحماية وسهر على صون أشخاصهم وأموالهم ، أما الذين كانوا يرومون الفساد في بلاد الاسلام بشكل من الأشكال فإن الدولة كانت لهم بالمرصاد ، واستطاع المولى اسماعيل أن يتلاعب بتهافتهم على الربح لديه وبما كان يفرق بين أممهم من النزاع ، من ذلك مثلا ما قام به من الأدوار تاجران فرنسيان كان على المذهب البروتستاني اسمهما « بروية » و « بيلي »، فإنهما ساعدا السلطان على إفساد مناورات القناصل الفرنسيين ، انتقاما من الملك لويس الرابع عشر الذي كان يطارد ملتهما بفرنسا ، ولقد نددت المراسلات القنصلية بأعمالهما لفائدة المغرب وصبت عليهما جميع أنواع الشتائم .

ولم تكن مراقبة المبادلات مع أوروبا بالنسبة للمخزن ضرورة دينية وحسب ، بل انها كانت ضرورة اقتصادية في نفس الوقت ، إذ كان المغرب ملزما باقتناء الأسلحة والعتاد الحربي من أوروبا ، ولكنه كان لا يريد لايبيع منهم مقابل ذلك ما من شأنه أن يقوي صفوفهم مثل الحبوب والخيول . وكان « البابوات » من جهتهم قد أصدروا العديد من القرارات القاضية بمنع بيع المواد العسكرية الأوروبية من المسلمين ، بل أصدر لويس الرابع عشر بتاريخ 24 يوليوز 1687 أمرا بشأن التجارة مع المغرب جاء فيه :

« لقد بلغ إلى علم صاحب الجلالة انه بالرغم من قراراته التي منعت على رعاياه نقل العتاد الحربي والمواد الغذائية إلى البلدان الأجنبية بدون اذنه وحرمت المبادلات التجارية مع أعداء الدولة ، فإن العديد من الناس ينقلون إلى قراصنة المغرب البضائع التي هم في حاجة إليها لعيش طاقمهم ولتسليحهم وتجهيز مراكبهم » . لكن هذا القرار ما لبث أن صدر إلغاؤه بتاريخ 25 أكتوبر 1688 م ، حيث كان يمس بمصالح التجار الفرنسيين أكثر مما كان يمس بمصالح المغرب الذي كانت المراكب الانجليزية والهولندية تبادر إلى تزويده ، ولو من باب التهريب ، بما كانت عجرفة لويس الرابع عشر ترمي إلى حرمانه منه . وهكذا أخذ التهافت على الأرباح يأتي خلال القرن السابع عشر شيئا فشيئا على الفكر الصليبي ، ولقد وفق ملوك العصر العلوي الأول إلى الاستفادة من ذلك ، فانجلترا مثلا أصبحت ملزمة بالأذعان لشروط المولى اسماعيل من يوم تم لها احتلال مرفىء جبل طارق الذي كان من المستحيل تموينه من غير موانىء المغرب ، ولهذه الغاية أبرم بين الدولتين معاهدة سنة 1721 على قدم من المساواة تام مطلق ، ولقد نص البند الثاني عشر منها على الترخيص للجهة المغربية بدون قيد ولا شرط باقتناء ما تحتاج إليه من السلاح والعتاد بانجلترا ، مقابل اعترافها لها في البند الثالث عشر بدخول جبل طارق وجزيرة مينورقة في الممتلكات الانجليزية واستفادتها من مقتضيات المعاهدة على غرار باقي الأقاليم البريطانية .

ومن الواضح الجلي أن سياسة المولى اسماعيل لم تكن صادرة لا عن الحرص الشديد ولا بالأحرى عن الطيش كما تدعي ذلك بعض المراسلات القنصلية . كل ما في الأمر أنه لم ينبهر أبدا أمام تفوق أمم النصرانية في الماديات ، وأنه ظل يؤمن بتفوق الاسلام على كل حال بما تتميز به العقيدة الاسلامية من الأخلاق السامية وطهارة التوحيد . ولذلك كانت سياسته الخارجية استرسالا مباشرا للأعراف الموروثة عن السلف الصالح من الخلفاء الذين كان الاسلام لديهم دين الانجاز والاقدام وليس دين الاتكال والخمول ، وكان الجهاد في رأيهم لايجري بالسيف وحسب بل وبالجدل والحجج الدامغة أيضا ، ولذلك لم يفتأ المولى اسماعيل يدعو كل داخل عليه من النصارى إلى المجادلة والنقاش عقلا في أمور العقيدة ، وكان ينتقد قضية الثالوث المقدس عندهم ويراه ضربا من الشرك ، ولقد كتب رسالة إلى الملك جاك الثاني الانجليزي في هذا الصدد أثار انتباهه فيها



الأميرة ماري آن دوبوربون ,MARIE ANNE DE BOURBON
PRINCESSE DE CONTI بنت لويس الرابع عشر ، وقد خطبها مولاي اسماعيل . عن بلانتر 1912 . الخزانة العامة بالرباط .

إلى بعض ما كان قد ارتكبه من الأخطاء السياسية القاتلة ، ذلك أن جاك الثاني هذا كان قد أطيح بعرشه سنة 1689 بسبب إخلاصه المتعنت للمذهب الكاثوليكي الذي كان الشعب الانجليزي قد نبذه على العموم منذ القرن السادس عشر ، فكتب المولى اسماعيل إليه ينبهه إلى أن إبسط ما تقتضيه الحكمة الساسية أن تكون الملوك على دين رعيتها وان سلامة التوحيد تقتضي عدم التمسك بالثالوث المقدس الذي هو مسّ صارخ بالتوحيد .

ومع ذلك ، فالجدير بالذكر أن المولى اسماعيل احتفظ للويس الرابع عشر ملك فرنسا بعناية خاصة وكان يفضله على باقي ملوك أوروبا ، وأراد أن يصاهره على بعض أميرات الأسرة البوربونية ، « الأميرة دي كونتي » ، وسبب هذا التقدير المتميز ، على ما ذكر السفير « دى سانتولون » هو أن لويس الرابع عشر كان يساند « السلطان الأعظم (العثماني) » ، بل كان يمده بيد المعونة في الحروب التي كان عليه أن يخوضها ضد أمراء النصرانية » . وكان تحالف فرنسا مع الدولة العثمانية قد أصبح منذ النصف الأول من القرن السادس عشر من المعطيات الثابتة في العلاقات الدولية ، وما كان المولى اسماعيل المسلم الغيور إلا ليراعي لذلك التحالف مكانه .

مولاي اسماعيل

أمجاد وتناقضات العهد

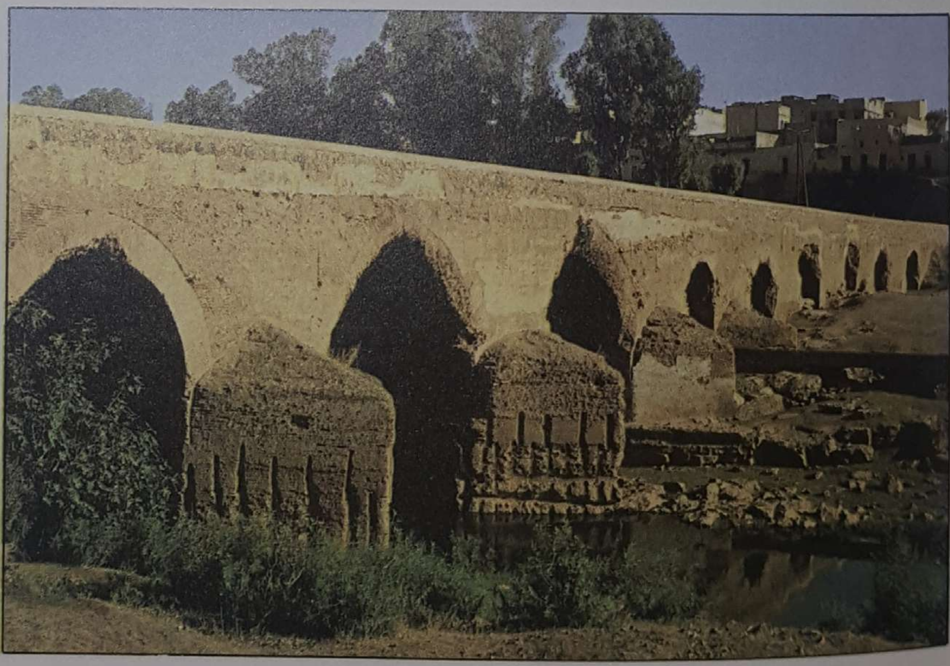


كتب « مويط » الأسير الفرنسي قائلا عن المولى اسماعيل :

« لا شيء أسهل على ما يبدو ولا أحلى من أن يتقلد المرء مقالد الحكم ، لكن من الصعب جدا أن يطمئن المرء بالحكم ، ويتصور الذين لا يتعلقون إلابسطح الأمور أن القبض بزمام الامبراطورية يجعل صاحبها في أسمى درجات السعادة والمجد ، وانهم لايأخذون بعين الاعتبار أن معالجة كبريات الأمور لايمكن إلا أن يرمي بنا في متاهة من الأكدار لا ننجو منها إلا بشق الأنفس » .

مما يستخلص منه أن السياسة الجيدة هي على غرار الاداب الجيدة ، لايوفق إليها الانسان لمجرد ما ينطوي عليه من طيب العواطف . ولقد

قصبة بمدينة سطات بنيت بأمر مولاي اسماعيل .
تصوير أودول .



قنطرة مولاي اسماعيل على نهر أم الربيع .
تصوير أودول .

كان مجتمع القرن السابع عشر بالمغرب مطبوعا بتموجات عنيفة على سطحه ، فكان المخزن بالضرورة « حركة » مستمرة وكانت السلطة بالتبعية فتحا متواليا ، ولذلك كان السلطان الأعظم هو القائد العسكري المحنك واحتفظت الأسطورة للمولى اسماعيل على وجه التخصيص بكثرة ما حصد من رؤوس الثوار ، لكنه ما كان يحصد الرؤوس حبا في إراقة الدماء ، بل كان يسعى لارساء هيبة الدولة في القلوب . ويحكي أنه سأل يوما بعض الفرنسيين عن كيفية معاقبة قطاع الطرق بفرنسا فأجابه بأنهم يعرضون على المحاكم ، فقال المولى اسماعيل من توه :

« هذا صالح بفرنسا أما ببلاد البرابرة فإنه لا يجدي فتيلا » . وأورد الانجليزي « طومس بيلوو » الذي خدم هذا السلطان سنين عديدة قائلا :

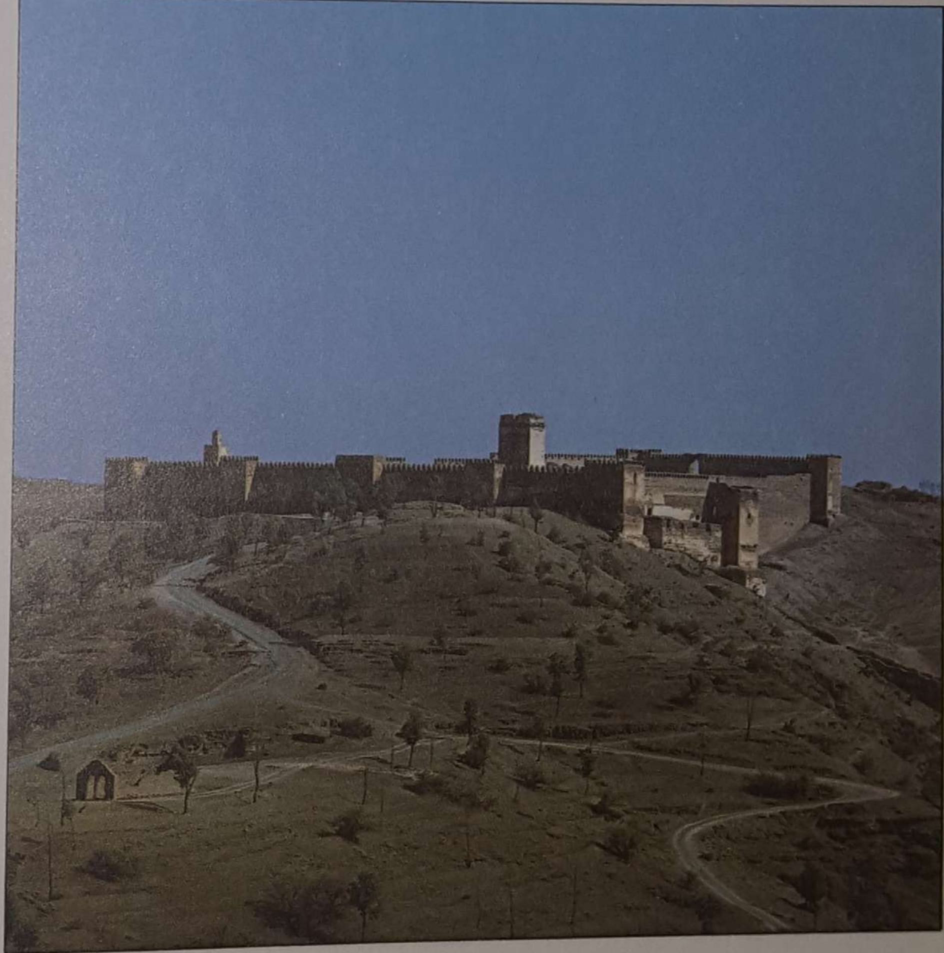
« إنه ملك الوحشية الطبيعية في رعاياه بمعاملتهم بأشد مما هم عليه منها » . وكانت النتيجة حسبما شهد بذلك القنصل « إسطيل » سنة 1698 « ان أصبحت الأمم التي تقطن هذه الممالك الشاسعة ترتعش . جميعها لأدنى أمر من أوامره يأتي لتنفيذه أحد عبيده محملا بإحدى رسائله ، فينفذ الأمر على التمام من حينه وبدون ارجاء » .

وإذا كان العنف كثيرا ما يطبع أعمال المولى اسماعيل فإن تلك الأعمال كانت لاتفتقر لا لوحدة الرؤيا ولا لبعد النظر ، ولا يسجل التاريخ عليه إلا حالة واحدة من التناقض ، وان كان لها ما يبررها في المجتمع القبلي العتيق ، فإن الاستبداد المطلق بالسلطة كان يتنافى مع إحساس رهيف بالعصبية العائلية التي كان انعدام قاعدة ثابتة لولاية العهد يزيدها تعقيدا ويوم سئل المولى اسماعيل عما كان ابن أخيه المولى أحمد بن محرز يتسبب له فيه من المتاعب بقصد الاطاحة بملكه ، أجاب بدون حقد ولا غضب بأن ذلك الأمير ما أساء ولا أذنب بالسعي في الجلوس على عرش أجداده .

وكان من عادة المولى اسماعيل أن يعين أبناءه بمجرد بلوغهم سن الرشد « قيادا أو عمالا على مختلف البلدان والأقاليم والمقاطعات » ، وأردف « إسطيل » صاحب هذه الشهادة قائلا :

« وبعد وفاة والدهم يتفوق أقوى الأولاد على الآخرين ويقضي عليهم لينفرد بالملك ويقدم مقامهم أناسا من جيله ... ويرى الذي هو صاحب الملك حالا أن هذا المبدأ سليم بما يؤدي إليه من تربية جميع الأمراء على القتال ليتمكنوا من ضبط إخوانهم ، ويتولد عن ذلك باستمرار حروب بينهم ... والحالة هذه أنك ترى هؤلاء الأولاد وسنهم تسع أو عشر سنوات يتطايرون على صهوة جياد ثائرة بلا سرج ولا أحذية ولا مهامز مستسلمين لمنتهى عدوها » .

وهكذا قضى المولى اسماعيل الجزء الأول من عهده يحاول إخماد ثورات إخوته وأبناء إخوته ، وقضى الجزء الثاني منه يعمل على ردع تطلعات أبنائه لاقتطاع جزء من الملك لفائدتهم . ولقد ثار عليه المولى أبو النصر مرة أولى سنة 1702 ثم أعاد الكرة سنة 1711 وانتهى أمره بمقتله سنة 1713 . وثار المولى على الأعرج سنة 1698 بشرق المغرب ثم أرغم على الفرار إلى الجزائر ولم يعد منها إلا بعد عفو والد عنه . وكانت أخطر الثورات هي ثورة المولى محمد العالم وكان من أكبر الأمراء سنا ، حيث ازداد قبل المبايعة لوالده ، وكانت والدته أوروبية الأصل ، وأشركه المولى اسماعيل باكرا في المسؤولية فتجلى ما كان عليه هذا الأمير من حميد الخصال . مما جر عليه ألسنة الحساد والوشاة ، قال « إسطيل » عنه سنة 1697 : « إن ما يحظى به هذا الأمير من العطف يحمل والده على أن لا يتركه بنفس المكان أزيد من شهرين كاملين وذلك خوفا من أن يصدر منه نزوة من النزوات » . وكان إقليم سوس مضطرب الأحوال آنذاك ، فاسند السلطان أعماله للأمير المولى محمد علما منه بقدرته على ضبطه وتمهيده ، وتبين بالفعل نجاح الأمير في مهمته في ظرف وجيز واحبه أهل سوس وانقادوا لحكمه حتى أقدموا على مبايعته ، ولذلك جاء رد فعل المولى اسماعيل بأقسى ما يكون ، حيث كلف ولده المولى زيدان بإلقاء القبض على الأمير الثائر وجيء به حبيسا ، وأمر السلطان بأن ينفد فيه حكم الشرع في المفسدين في الأرض فقطعت يده ورجله من



قصبة بولعوان التي ابتناها مولاي اسماعيل سنة 1710 .
تصوير أودول .

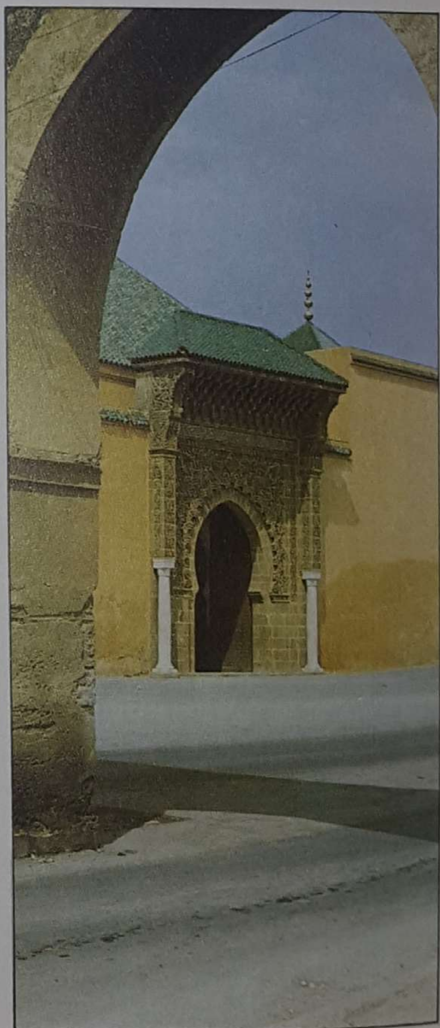
مولاي اسماعيل

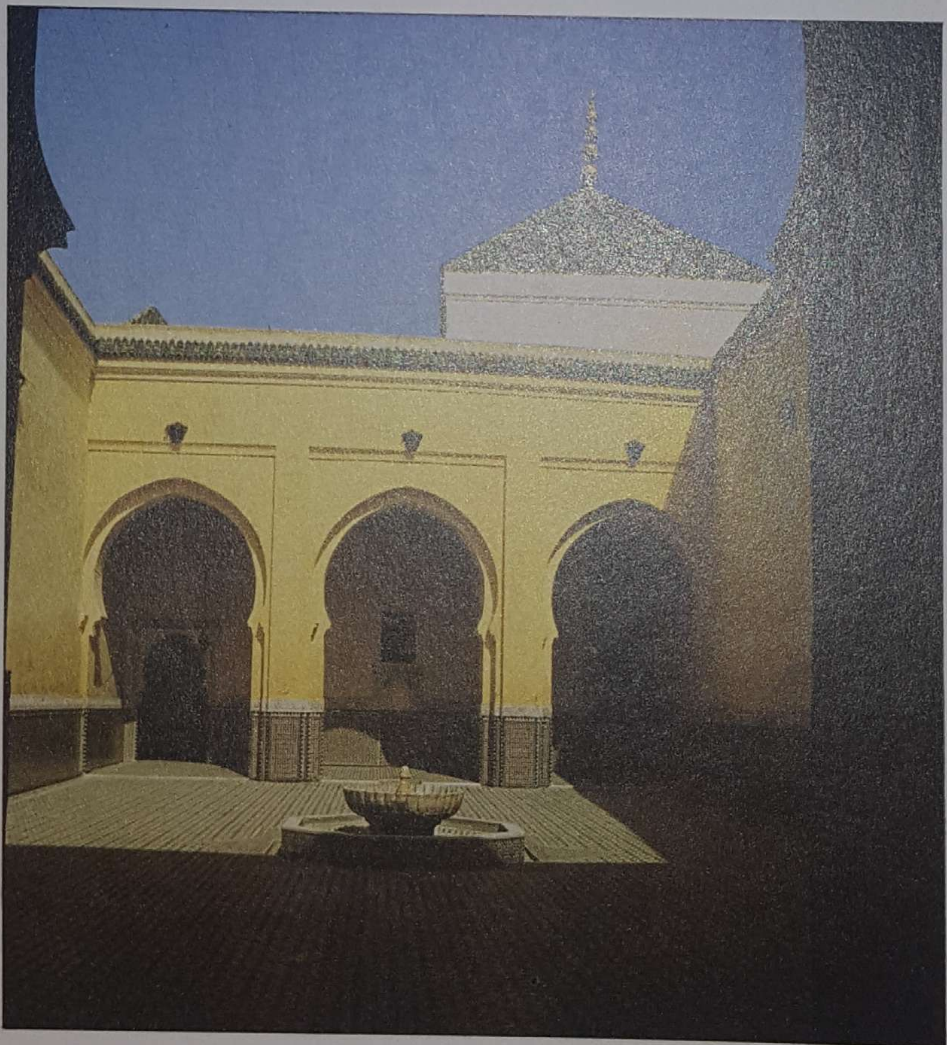
خلاف ومات بعد أيام لامتناعه عن ترك الأطباء يعالجون جروحه 1706 م . لكن المولى زيدان الذي كان قد قبض عليه ثار هو بدوره احتجاجا على تنفيذ ذلك الحكم على أخيه ، إلّا أنّه مات شهورا قليلة بعد ثورته ، قيل من جراء سم أطعمه من قبل جواريه . ولقد كتب الأب « بوسنو » الذي زار المغرب في تلك الأثناء قائلا عن المولى اسماعيل :

« إنه يرى هذه الاضطرابات كلها ويسمع بما يدل من الجهود لحمل القبائل على الثورة ويعي عداء هؤلاء لأولائك فلا يحرك ساكنا على ما يبدو ، ورأينا منذهلين إبان ثورة المولى محمد يوم عمت البلبة أهم جهات المملكة وكان كل شيء ينذر باندلاع ثورة عامة ، كيف كان السلطان وحده يبدو وكأنه إنسان بدون مشاكل ، يستقبل الأجانب رسميا ... ويقضي باقي الوقت يراقب أشغال عبيده ويخطط للبناء ، بل يشرف بنفسه على الأعمال كما لو كان من عموم الناس لا شغل له الا أن يُعنى بجزئيات الشؤون المنزلية العادية ، حتى إذا اعتقد لجميع ان لا مفر من الضمار ، عندئذ ترى العواطف وقد سكنت والثائرين وقد مزقوا ورؤوس الفتنة وقد سلموا بين يديه ونزل بهم من انتقامه أهول العقاب وكل ذلك بوسائل خفية وبدون سلاح ولا استشارة ولا مشقة » .

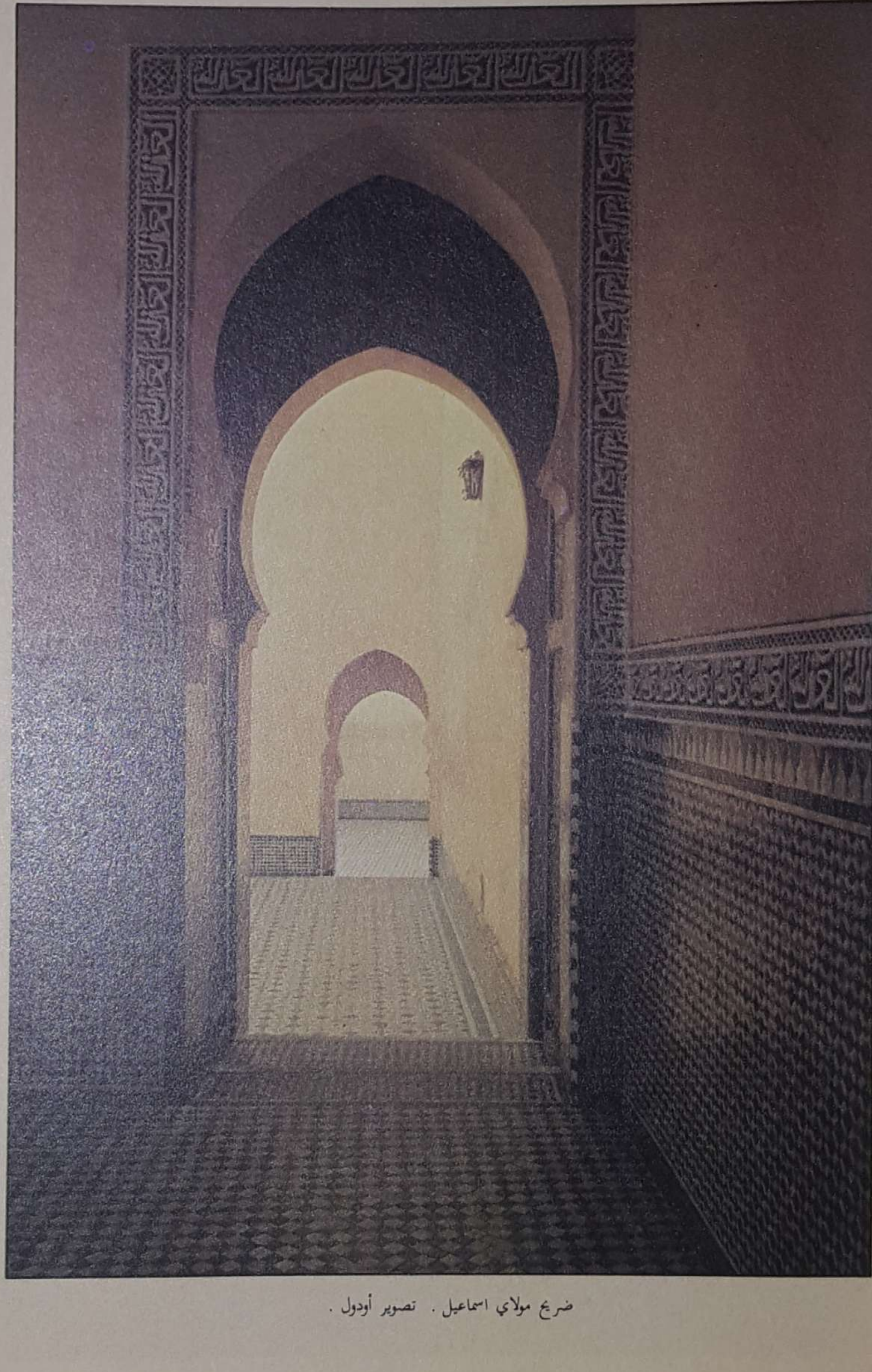
لقد جبل المولى اسماعيل على الشجاعة والثبات والرصانة والحذر ولم يكن قائدا عسكريا ماهرا وحسب بل كان من كبار السياسيين المدركين لكنه الأمور . ولقد تردد في الرواية أن اليهودي والمرأة كانا في ظل سيفه يستطيعان السفر من وجدة إلى وادي نون دون أن يصيبهما أذى بفضل ما كان يخشى من بطشه ، والواقع أن هذا السلطان هو الذي وضع قواعد الاستقرار القبلي حيث أوقف زحف التكتلات القبلية الكبرى بشكل شبه نهائي عند حدودها الحالية وجعل تنقلاتها التقليدية ضربا من الغليان العاجز عن المس بأسس الدولة ، وما الأزمة العسكرية المهولة التي وقعت البلاد في فتنها غداة وفاته في شهر مارس من سنة 1727 م الا دليل عكسي على مثانة منجزات هذا السلطان العظيم .

ضريح مولاي اسماعيل بمكناس .
تصوير أودول .





تاريخ مدينة مكناس



ضريح مولاي اسماعيل . تصوير أودول .

إن أضرحة السعديين تدل على تاريخ مدينة مراكش ، بل تلخص أخبارها ، ويدل ضريح ادرس بن ادريس وأضرحة بني مرين على تاريخ مدينة فاس . أما من أراد معرفة تاريخ مدينة مكناس ، فليرجع بذاكرته إلى القرن السابع عشر ، وهو قرن مولاي اسماعيل ، ان اسم هذا السلطان العظيم والبنايات التي أمر ببنائها تربط المدينة ربطا وثيقا بمؤسسي الدولة العلوية .

وقد نقل مولاي اسماعيل عاصمته من فاس إلى مكناس حوالي سنة 1678 . ولم تكن عامة الناس تعرف إلا القليل عن حياة هذه المدينة حتى هذا التاريخ . ولايستطيع تلخيص تاريخ مكناس إلا الباحثون ، وذلك بالرجوع إلى المصادر الهزيلة المتعلقة بتاريخ الدولة السابقة . وينبغي أن نعلم ، أول الامر ، أن مدينة مكناس الحالية بمثابة شقيقة لمدينة تازة ، التي تسمى اليوم مكناسة الزناتية انقسمت إلى فئتين ، أسست احداهما مكناسة تازة ، التي تسمى اليوم تازة فقط . وأسست الفئة الثانية مكناسة الزيتون ، المسماة الآن مكناس .

ولم يدخل المرابطون ، ثم الموحدون ، مدينة مكناس بدون عناء . فكان طبيعيا أن تقاوم مدينة من الشمال الفاتحين الجدد القادمين من الجنوب . وفي أوائل القرن الثاني عشر ، تكاثر عدد سكان مكناس بفضل الامن الذي نعت به المدينة على يد الموحدين ، وبنيت به حمامات ومساجد . وتكررت نفس الاحداث في الوقت الذي تولت فيه دولة بني مرين الحكم بالمغرب . فقاومت المدينة السلطان أبا يحيى . وبعد ذلك أنقادت للمرينيين ، فأنجز فيها أبو يوسف وأبو الحسن من المنجزات ما زيناها به .

ثم خربت بعض أجزاء المدينة في القرن الخامس عشر أثناء الثورات والفتن التي أنذرت بانقراض دولة بني مرين . ولما استولى سلاطين بني وطاس على الحكم بعد أن أنهوا وصايتهم على دولة بني مرين عادت الطمأنينة والرخاء إلى المدينة في عهد أبي زكرياء . على أن مدينة فاس بقيت عاصمة البلاد ، وبها استقبل السلطان الوطاسي أحمد بن محمد الكولونيل بيير دو بيتون le colonel Pierre de Piton ، سفير ملك فرنسا فرانصوا الاول François 1er في شهر غشت 1533 .

وفي عهد السعديين تضاءلت أهمية مدن الشمال ، إذ اتخذ سلاطين هذه الدولة مدينة مراكش عاصمتهم المفضلة . وفي هذه الفترة كثر الكلام عن « جمهورية » الرباط وسلا التي كادت تكون مستقلة ، ولكن لم يعلم عن مكناس إلا القليل .

ولم تتبوأ مدينة مكناس الصدارة من بين عواصم الدول المغربية إلا في أواخر القرن السابع عشر إثر بيعة ثاني ملوك العلويين .

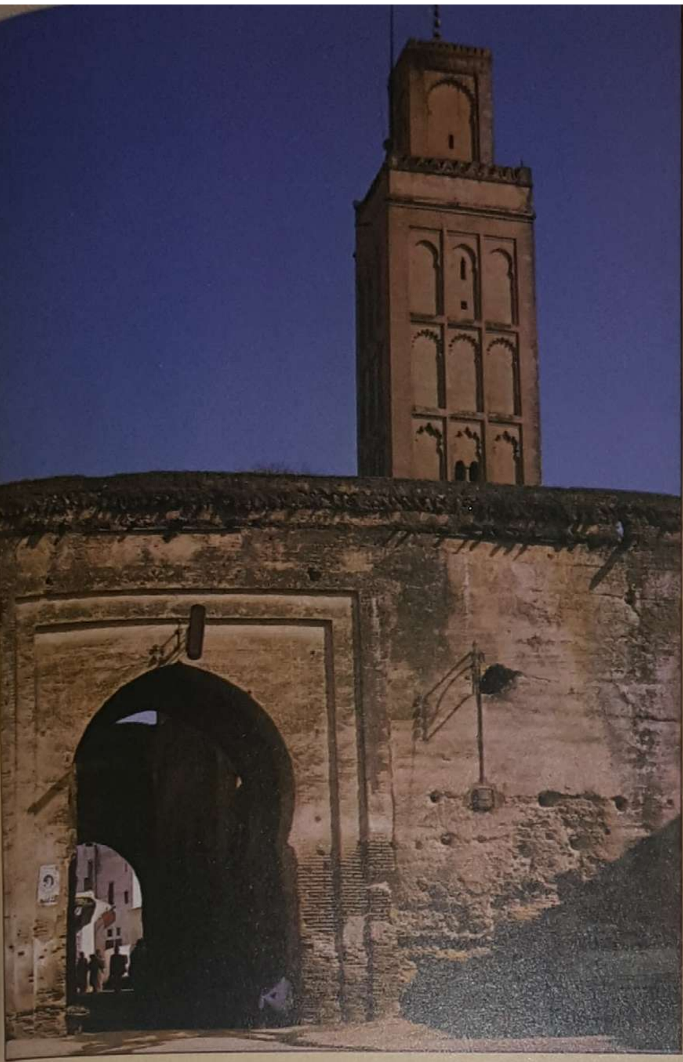
وكان مولاي رشيد قد أقام عاصمته في مدينة فاس . ولاشك أن مولاي اسماعيل أراد ، عند عدوله عن هذه العاصمة ، أن يبتعد عن مدينة رأى في سكانها إباء ونزوعا إلى الفتنة . فاتخذ من مكناس عاصمة وثق بوفاء سكانها وطبعها بطابعه الشخصي .

وينبغي أن نلاحظ كذلك أن اختيار مدينة مكناس كانت تبرره أيضا أسباب اقتصادية . فقد كانت المدينة الاسماعيلية مؤهلة لتصبح – وقد أصبحت فعلا – قاعدة مملكة عظيمة لوجودها في وسط إقليم من أغنى أقاليم المغرب ، بعيدة عن البحر ، وبالتالي في مأمن من الغزو الاجنبي .

شارل بينز Charles PENZ
الدكتور في الاداب ،
الاستاذ المحاضر سابقا بمعهد الدراسات العليا المغربية .
عن كتاب "Notre Maroc 1951"



قبة الخياطين حيث كان مولاي اسماعيل يستقبل سفراء لويس الرابع عشر .
تصوير أودول .



3

1

المسجد الأعظم بمكناس .

تصوير أودول .

2

باب الخميس ، من آثار مولاي اسماعيل .

تصوير أودول .

3 ـ 6

باب البردعيين ، من آثار مولاي اسماعيل .

تصوير أودول .

4

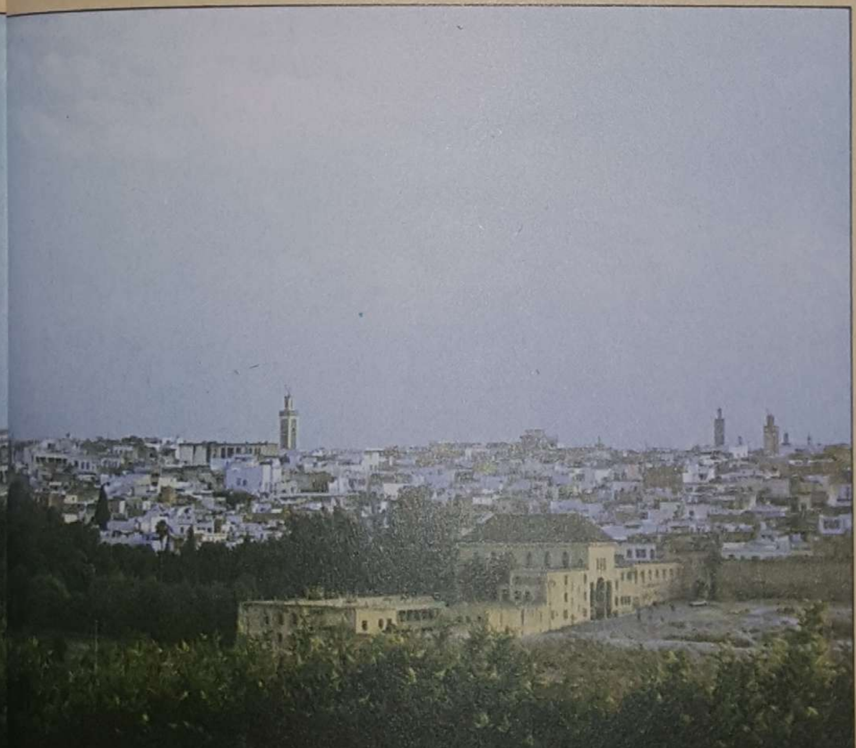
المدرسة العنانية ، ترجع إلى عهد بني مرين .

تصوير أودول .

5

منظر عام لمدينة مكناس .

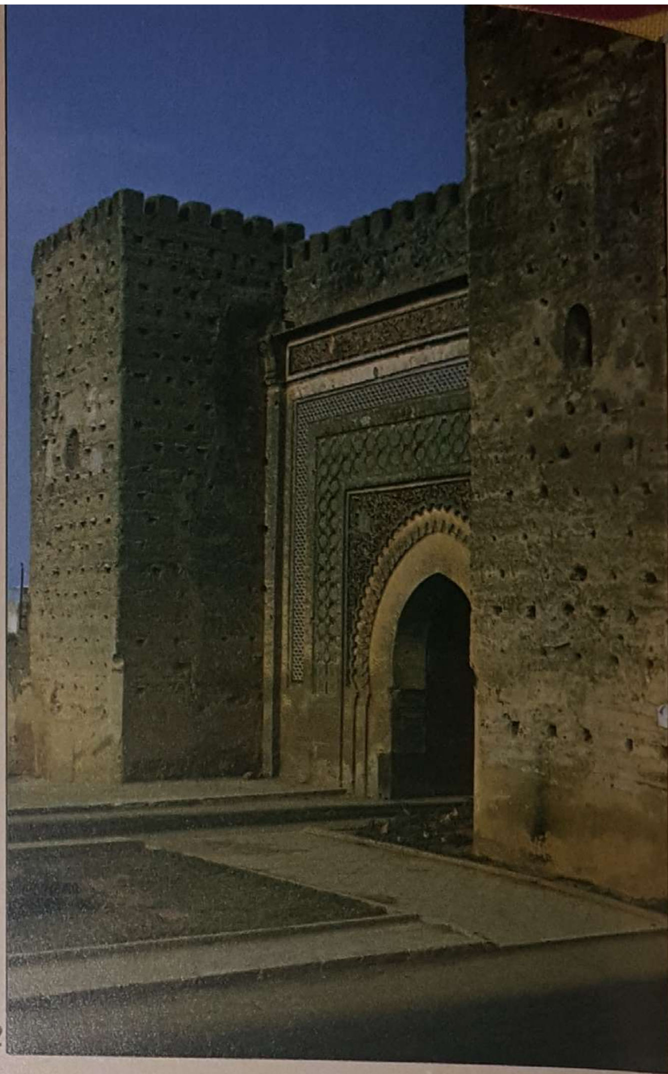
تصوير أودول .

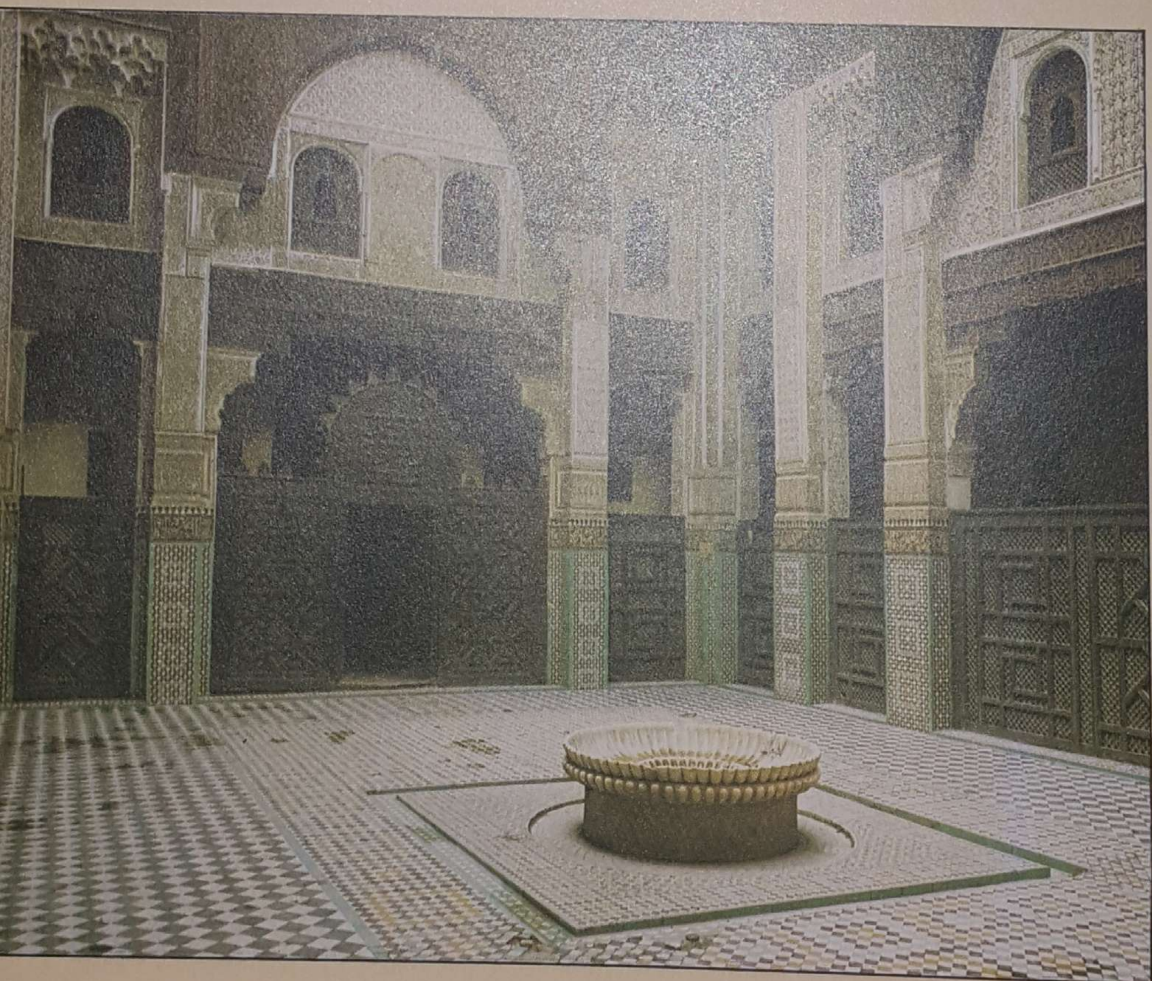


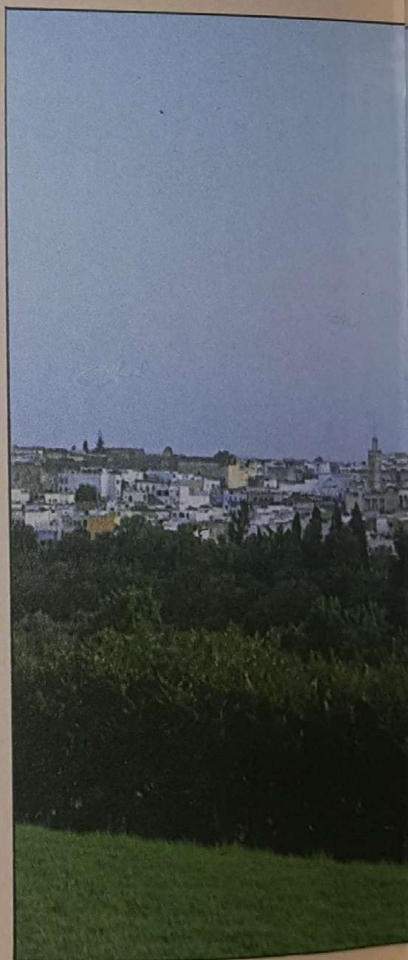


6


1


2


4


5

أهراء بمكناس ترجع إلى عهد مولاي اسماعيل .
تصوير أودول .

